قصة مؤمن آل ياسين
دراسة عقدية

إعداد:

د.غويد بن شباب بن صالح الغامدي

أستاذ العقيدة المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية والتنمية البشرية – جامعة بيشة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أما بعد : القرآن الكريم كتاب هداية ، أنزله الله عز وجل منهج حياة لإسعاد البشرية وإصلاح جميع شؤونهم وأحوالهم ، " فهو أشرف ما صُرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ، ومُد به قلم ؛ لأنه منبع كل علم وحكمة ، ومَرْبع كل هدى ورحمة ، من تمسك بما فيه فقد علقت يده بحبل متين ، ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم ، وهُدي إلى صراط مستقيم ، وقد أودع الله سبحانه في كتابه من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة ، وأنواع الجزالة ، وفنون البيان ، وحسن الترتيب والتركيب ، ما أذهل عقول العقلاء ، وأخرس ألسنة الفضلاء ، فهو وحي إلهي جليل ، نَزَل من رب العالمين ، العالِم بما يُصلح خلقه ، وهو هدى وشفاء ونور ورحمة ؛ لتضمنه كل المطالب المهمة التي تحتاجها البشرية خصوصًا ما يتعلق بعقائدها وتصوراتها وما يصح به إيمانها بربها "[1]، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٩] ،

---

[1] – انظر : درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية (٥ / ٢٦٨) ، فضائل القرآن للمستغفري (١/ ٦-١٣).

ومن الأساليب العظيمة الجديرة بالبحث والدراسة التي تضمنها كتاب الله تعالى بيانًا لأصول الإيمان ومسائل الاعتقاد أسلوب القصص والذي يخاطب العقول والوجدان لتأكيد المعاني وإبرازها وسرعة إقناع المخاطب ، وإيصال المعنى المراد له ، وقد لفت انتباهي فيه قصة مؤمن آل ياسين ، هذه القصة الخالدة التي تعتبر جزءًا من البيان الإلهي ، الذي يُسهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعّال في تأكيد الأصول التي ينبني عليها الإيمان بالله ، وإثبات التوحيد، ونفي ما يضاده من الشرك ، وإثبات الإيمان بالرسل ، ووقوع اليوم الآخر ، وتقرير القدر، ولاشتمال هذه القصة على هذه الدلائل العقدية المهمة ، والتي هي من أصول الإيمان ، وأركان الدين ، وعدم وجود من أفردها بالشرح والبيان لا سيما أنها تتعلق بأشرف العلوم وأجلها قدرًا ، وأوجبها مطلباً ، وهو علم التوحيد ، فأحببت استنباطها من القصة ودراستها ؛ لتكون مَعينًا لكل مسلم عند تدبره لآيات هذه القصة الكريمة ، ومعرفة ما فيها من العظة والعبرة ، وزيادة اليقين والإيمان بالله عز وجل، فكل خير في الدنيا والآخرة ودوامه وزيادته فهو من آثار تدبر كتاب الله جل وعلا والعمل بما فيه .

أهمية الموضوع :

١- يستقي هذا الموضوع أهميته من أهمية الكتاب العزيز ؛ حيث إنه يبين جانبًا عظيمًا من مقاصده ، ويوضح معناه ودلالته .

٢ – كما تتجلى أهميته من جهة تعلقه بأشرف العلوم ، وهو أصول الإيمان ومسائل الاعتقاد فهذا البحث يتعلق بدراسة قصة مؤمن آل ياسين دراسة عقدية تأصيلية .

٣- ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع أنه يُعنَى بأسلوب – طالما اعتنى به العرب – وهو أسلوب القصة ، فالقصة من الأساليب العربية التي امتازت بالأسرار البلاغية والنكت البيانية ، وهذا يُحفز على تأملها ، والغوص في دقائقها ، لما لها من أثر في توكيد المعاني ، وجذب السامع وسرعة الفهم.

أسباب اختيار الموضوع :

١- الرغبة في نيل شرف العيش مع كتاب الله تعالى ، ومحاولة النهل من معينه العذب .

٢- أن قصة مؤمن آل ياسين ، قد اشتملت على ذكر مسائل عقدية جليلة من تقرير الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، وإثبات ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وإبطال الشرك ، وإثبات الإيمان بالرسل ، وتقرير القدر ، وإثبات اليوم الآخر .

٣- الحاجة الماسة إلى البحوث العقدية المؤصلة التي تنبثق من كتاب الله تعالى ، في ضوء منهج السلف الصالح .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث في فهارس المكتبات ، ومحركات البحث الرقمية ، وسؤال المختصين ، لم أجد – على حد علمي- من قام بدراسة قصة مؤمن آل ياسين دراسة عقدية مفردة ، ولكن جاء الحديث عنها متفرقًا في كتب التفاسير ، أو عن المباحث العقدية عامة في سورة ياسين ، كمباحث الإيمان في سورة ياسين، رسالة ماجستير للباحثة (أحلام الحكمي) في كلية التربية للبنات في جدة سُجلت عام ١٤٢٧هـ ، والمباحث العقدية في سورة ياسين للباحث (راكان تحسين حمه) ، بحث علمي منشور في المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد (٣٣ / ٢٠٢٢م) ، وكل هذه الدراسات لم تُفرَد لقصة مؤمن آل ياسين ، أو تسلط الضوء على ما فيها من الدلالات العقدية، ولم تتعرض لدراسة المسائل العقدية التي اشتملت عليها هذه القصة خاصة ، كتقرير الإيمان بالله تعالى وتوحيده وإثبات ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وإبطال الشرك ، وتقرير الإيمان بالرسل ، وإثبات اليوم الآخر، وتقرير القدر، التي اشتملت عليها هذه القصة الخالدة .

منهج البحث :

وقد سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الشامل لكل الدلالات العقدية التي اشتملت عليها هذه القصة، واقتضت خطة البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل وصلاح الحال والهدى والسداد في الدنيا والآخرة.

تمهيد

تعريف القصص القرآني وأهميته في ترسيخ العقيدة

القصص لغةً جمع قصة : يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله (٥٠٢هـ) :" القص : تَتَبُّع الأثر ، يقال : قصصت أثره . والقصص : الأثر، والأخبار المتتبعة "[١] وقال ابن منظور رحمه الله (٧١١هـ) : " قصصت الشيء : إذا تتبعت أثره شيئًا بعد شيء. والقصة: الخبر، والأمر والحديث ، والقصص : الخبر المقصوص بالفتح "[٢] ، ، فالقصة : الأمر والحديث وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه فالقصص الخبر المقصوص ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمرن : ٦٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ [القصص : ٢٥][٣]، والقصص : هو الإخبار بالواقع، وتتبع آثار الحقيقة، والإتيان بها على وجهها الصحيح[٤] .

القصص القرآني في الاصطلاح : ما أخبر الله عنه في القرآن الكريم من أحوال الأمم الماضية، والحوادث الواقعة قبل نزول القرآن، وما ذكره من أحوال الأشخاص والبلاد في صورةٍ ناطقةٍ عمّا كانوا عليه، وبأسلوبٍ مغايرٍ لِما اعتاده القصّاصون في سرد قصصهم[٥].

أهمية القصص القرآني في ترسيخ العقيدة :

إن القصص القرآني من أعظم الأساليب في ترسيخ العقيدة ، وبنائها وتشييدها في النفوس، فله أهمية جليلة في هذا، يدل على ذلك أنّ هذا الأسلوب القصصي هو أكثر الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم ، فقد استحوذ على مساحة كبيرة فيه ، لاتقل عن الربع إن لم تزد قليلًا[٦] ، كذلك سُميت بعض السور القرآنية بأسماء القصص الواردة فيها : مثل سورة البقرة ، وآل عمران ، ويونس، وهود ، ويوسف ، والقصص وغيرها[٧]، و يكفي القصص القرآني شرفًا ورفعةً أن الله تبارك وتعالى قد استخدم هذا

---

١ – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني (٤٠٥)

٢ – انظر : لسان العرب ، ابن منظور (٥ / ٢٥٩ – ٢٦٠)

٣ – انظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري (٢ / ٣١٣) .

٤ – انظر : أدب القصة ، د.عبدالجواد محمد (٢١) .

٥ – انظر : نفحات في علوم القرآن ، محمد معبد (١٠٦)

٦ – قصص القرآن الكريم ، د.فضل عباس (١٢)

٧ – انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (١ / ٢٧٠)

الأسلوب بنفسه [1] فقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف : ٣]، أي : " نخبرك ونحدثك " [2]، كذلك أمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أمرًا صريحًا بأن يقص القصص على الناس جميعًا ، فقال تعالى : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف : ١٧٦] ، بل إن جميع الأنبياء – عليهم السلام – وأتباعَهم كانوا يقصون على أقوامهم قصص من سبقهم من الأنبياء مع أقوامهم لعلهم يتذكرون[3]، ثم إن هذا الأسلوب يلقى قبولًا لدى النفس ؛ بحيث تصغى إليه بدون ملل ولا ثقل ، لذلك تعلق به الإنسان تعلقًا جعله من أحب الفنون إليه، فقد نشأ الإنسان ميّالًا بطبيعته إلى حكاية ما يقع له ، أو لغيره من الناس[4]، فالقصص يملك دائمًا الجاذبية والإثارة ، مع ما جُبل عليه بني آدم من حب الاستطلاع لمعرفة أخبار الماضين، والقصص القرآني كله حقٌ وصدقٌ وعدل ، قال تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمرن : ٦٢]، كما أنه مليء بالعظات والعبر المؤثرة ، قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ﴾[يوسف : ١١١]، وهو وسيلة عظيمة لترسيخ العقيدة وتشييد بنائها، فالقرآن الكريم استخدم القصة في عرض قضايا العقيدة الكبرى ، وبيان معاني الإيمان وثمراته وحسن عاقبته ، ودحض الكفر وبيان سوء عاقبته ، عرضًا شافيًا ، وأقام عليها الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، كما عرض عقائد الشرك المتهافتة ودمغها حتى أسقطها، مع ما تميَزَ به القصص القرآني من قوة التأثير لأنه واقعٌ علمي ، فهو أكثر فاعلية من الحجج النظرية، كما أنه أسلوب جامع لغيره من الأساليب ، ففي القصة نجد الجدل والمناظرة ، والترغيب والترهيب ، والدعوة إلى النظر في الأنفس والآفاق[5]، كما أن للقصص القرآني أهدافًا إيمانية كثيرة ومتنوعة ، تتركز في إثبات الوحي ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾[هود : ٤٩]، فهذا القصص غيب من الغيب ، ما كان يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا متداولًا في محيطه ، إنما هو الوحي من لدن حكيم خبير[6] ، وفيه إظهارُ صدق النبوة ، فلقد كان أهل الكتاب يجادلون في أمر أنبيائهم ، وكانوا يسألون رسول الله عن

---

[1] – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (١٨٦ – ١٨٧)

[2] – تفسير أبو السعود (٣ / ١٠٥)

[3] – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (١٨٧)

[4] – أدب القصة في القرآن الكريم ، د.عبدالجواد محمد (١٢)

[5] – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (١٨٨– ١٨٩)

[6] – انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٤ / ٣٢٨)

أحوال السابقين ، وكانوا يوحون إلى العرب بذلك ليحرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنَّ القرآن كان يجيبهم عما سألوا عنه بأحسن الأساليب ، وأوثق الأخبار ، وأدق التفاصيل ، كما حدث في شأن قصة يوسف عليه السلام وقصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك ليُظهر ويؤكد صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من أهداف القصص القرآني الإيمانية تأكيد وحدة الرسالات السماوية، فالقصص القرآني يؤكد بكل وضوح أن رسالات الأنبياء عليهم السلام جميعًا واحدةٌ في أصولها ، فكل رسول كان يحمل إلى قومه دعوة التوحيد ونبذ الشرك بكل صُوَره ، وكان كل منهم يقول :﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[هود : ٨٤]، وفي هذا تأكيد لوحدة مصدر الرسالات السماوية ، وأنها من عند الله ، كما أن من أهداف القصص القرآني تثبيت قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك قلوب أتباعه المؤمنين في كل زمان ومكان [١] ، قال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله (١٣٠٧هـ) : " أي : قلبك ، ليطمئن ويثبت ، ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن النفوس تأنس بالاقتداء وتنشط على الأعمال ، وتريد المنافسة لغيرها ، وبتأييد الحق بذكر شواهده وكثرة من قام به "[٢] ، ومن أعظم أهداف القصص القرآني الإيمانية بيان صفات الله جل وعلا وفاعليتها في الحياة، فالقصص القرآني يُعرِّف بالله عز وجل ، وصفاته تبارك وتعالى ، صفات الكمال والجمال والجلال ، بما يدل على كمال قدرته جل وعلا وعلمه وعزته وحكمته، من خلال تصريف أحداث القصص ، وفي ذلك تقديم لأصول العقيدة الإسلامية بوضوحٍ وتفصيلٍ لجوانب الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات، كما سيظهر معنا في ثنايا هذا البحث ، وهذا من أكبر خصائص العقيدة الإسلامية ، وضوحها وتفصيلها بصورة تبعث على الطمأنينة والاستقامة ، والمحبة والطاعة ، والثقة واليقين ، والخوف والرجاء[٣]، وبهذا يتضح لنا معنى القصص القرآني وتتجلى لنا أهميته في ترسيخ العقيدة .

---

١ – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (١٩٠– ١٩١)

٢ – تفسير السعدي ، السعدي (٧٧٣)

٣ – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (١٩٥)

المبحث الأول

من هو مؤمن آل ياسين ؟

اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن من عدة نواحي : من ناحية اسمه ومكانه ومهنته وحالته وكيفية نهايته، والله سبحانه وتعالى حين ذكر القصة لم يبين شيئًا من ذلك ، فكان محل اجتهاد وبحث واختلاف أراء بين أهل العلم وأئمة التفسير، فأما اسمه فقد اختلف فيه العلماء على أقوال أشهرها سبعة ، فأكثر المفسرين على أن اسمه حبيب النجار[١]، وقيل اسمه حبيب بن موسى النجار[٢]، وجاء في حديث ضعفه أهل العلم تسميته بحبيب النجار، ذكره الحافظ السيوطي رحمه الله (٩١١هـ) في الدر المنثور حيث قال[٣] : " أخرج أبو نعيم ، وابن عساكر ، والديلمي عن أبي ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الصديقون ثلاثة ، حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال : (ياقوم اتبعوا المرسلين) ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ، وعلي ابن أبي طالب وهو أفضلهم "[٤]، وقيل اسمه حبيب فقط[٥]، وقيل اسمه حبيب بن بري[٦]، وقيل اسمه حبيب بن مرى[٧]، وقيل اسمه حبيب بن إسرائيل النجار[٨]، وقيل اسمه حبيب بن مرة، ذكر ذلك

---

١ – تفسير الطبري (١٩ / ٤١٩) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٨ – ٤٢٩) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٣) ، تفسير الثعالبي (٥ / ١٠) ، تفسير أبو السعود (٤ / ٤٩٨) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١) ، فتح الباري ، ابن حجر (٨ / ٤٨ – ٤٩) ، عمدة القاري ، ابن بطال (١٦ / ٢٧)

٢ – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١) ، تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٤٩٩)

٣ – الدر المنثور ، السيوطي (١٢ / ٣٤١)

٤ – رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١ / ١٠٤) حديث رقم : (٣٤٠) ، وابن عساكر (٤٢ / ٣١٣) ، والديلمي (٣٨٦٦) وقال الألباني : موضوع ، انظر : السلسة الضعيفة ، حديث رقم : (٣٥٥)

٥ – تفسير الطبري (١٩ / ٤١٩) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، تفسير القران العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٣) ، تفسير الثعالبي (٥ / ١٠)

٦ – فتح الباري ، ابن حجر (٨ / ٤٨)

٧ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٨)، تفسير القران العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٣)

٨ – الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١) ، تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٤٩٩ – ٥٠٠)

الطاهر بن عاشور رحمه الله (١٣٩٣هـ) وزاد : " ولا يبعد أن يكون هذا الرجل الذي وصفه المفسرون بالنجار أنه هو (سمعان) الذي يدعى (بالنيجر) المذكور في الإصحاح الحادي عشر من سفر أعمال الرسل ، وصف النجار محرف (نيجر) فقد جاء في الأسماء التي جرت في كلام المفسرين عن ابن عباس اسم شمعون الصفا أو سمعان، وليس هذا موجودا في كتاب أعمال الرسل " [١]، وأما مكانه ، فقد ذكر الله تعالى خبر هذا الرجل المؤمن دون أن يعين مكانه أو زمانه ، ولكن ذكر كثير من علماء السلف والخلف أنه جاء من أقصى المدينة يسعى كما هو ظاهر الآية، وأن هذه المدينة أنطاكية فهو من أهلها [٢]، وادَّعى بعضهم الإجماع على ذلك[٣]! و في دعوى الإجماع نظر ، فإن بعض علماء السلف لم يعين القرية التي أرسل الله تعالى إليها الرسل الثلاثة، وقال عكرمة : إن أصحاب ياسين هم أصحاب الرسل بفلج ، وفلج من قرى اليمامة[٤]، والتحقيق في ذكر اسم هذا الرجل المؤمن، أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه ، فالقرآن لا يهتم بذكر الأسماء ولا الأزمان ولا الأماكن ، وإنما يهتم بأخذ العبرة والعظة وإقامة الحجة، فالمقصود الأهم من القصة هو بيان أن الله خلقنا لعبادته وطاعته وطاعة رسله ، مع بيان أن مصير العاصين الكافرين الجحيم والهلاك والعذاب ، ومصير الطائعين المؤمنين الجنة والنجاة والنعيم المقيم ، وفي عدم التصريح بذكر اسم هذا الرجل مع الإشادة بعمله ووصفه بالرجولة والسعي والمبادرة وبيان حسن العاقبة – دلالةٌ واضحة على أهمية الإخلاص لله عز وجل ، وعدم السعي للشهرة والثناء عند الناس ، وأن على الداعية المسلم أن يهضم نفسه ويتواضع لله جل وعلا ، ويبتعد عن حب الظهور والشهرة، فليس المهم أن يقال عن الداعية الفلاني : أنه قال وفعل وعمل وتحدث ، وإنما المهم إظهار الحق وإقامة الحجة ووصول الخير للناس والبلاغ الواضح البين[٥]، فكم من الأنبياء الذين أرسلهم الله عز

---

١ – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٦)

٢ – انظر : تفسير الطبري (١٥٥/٢٢ ، ١٥٦) ، تفسير البغوي (٤ / ٧) ، البدائية والنهاية ، ابن كثير (١/ ٢٢٧) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٩).

٣ – انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٥ / ١٤) ، روح المعاني الألوسي (٢٢ / ٢٢٠)

٤ – انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير (١ / ٢٢٧) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٧٠) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٧)

٥ – انظر : الفوائد العقدية من قصة مؤمن آل فرعون ، د.المرابط محمد الشنقيطي (٢٦١٢)

وجل لتبليغ دينه ونشره في الآفاق – ومع ذلك لا نعرف أسماءهم وهم أنبياء فضلاء أجلاء ، كما قال جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر : ٧٨] ، وأما مهنته فقد اختلف أهل العلم فيها على أقوال أشهرها ستة ، فأكثر المفسرين على أنه كان نجارًا ، أو إسكافًا [١]، أو قصارًا [٢]، ذكر ذلك جمْعٌ من أهل التفسير [٣]، وقيل : كان يعمل الجرير وهي الحبال[٤]، وقيل : كان قصارًا أو إسكافًا فقط[٥]، وقيل: كان نجارًا فقط[٦]، وقيل : كان حرّاثًا [٧]، وقيل : كان ينحت الأصنام[٨]، والتحقيق في بيان مهنته أن القرآن الكريم لم يهتم بذلك ، وأنها من التفاصيل التي ذكرها أهل العلم ولا يدخل في معرفتها كبير فائدة ، فالعبرة تحصل بإقامة الحجة وإظهار الحق وأخذ العظة والعبرة ، ويمكن أن يكون جامعًا لهذه المهن كلها كما ذكر ذلك الألوسي رحمه الله (١٢٧٠هـ) في روح المعاني[٩] ، وأبوحيان التوحيدي رحمه الله (٧٤٥هـ) في البحر المحيط [١٠]، والعلامة محمد الأمين الأثيوبي رحمه الله (١٤٤١هـ) في تفسير حدائق الروح

---

١ – الإسكاف : كل صانع سوى الخفّاف فإنه الأشكف ، وقيل : النجار ، وقيل : كل صانع بيده حديدة ، انظر : تاج العروس ، الزبيدي (س ك ف)

٢ – القصار: مبيض الثياب ، سمى بذلك لأنه يدقها بالقَصَرة التي هي القطعة من الخشب ، انظر: تاج العروس ، الزبيدي (ق ص ر)

٣ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤)، تفسير الثعالبي (٥ / ١٠) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١) ، تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٤٩٩)

٤ – تفسير الطبري (١٩ / ٤١٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٣)

٥ – تفسير القران العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤) ، فتح الباري ، ابن حجر (٨ / ٤٨ – ٤٩)، عمدة القاري ، العيني
(١٦ / ٢٧)

٦ – تفسير الثعالبي (٥ / ١٠) ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٦)

٧ – الدر المنثور ، السيوطي (١٢ / ٣٣٩)

٨ – الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، تفسير أبو السعود (٤ / ٤٩٨)، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١)، تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣/ ٤٩٩)

٩ – روح المعاني ، الألوسي (٢٢ / ٢٢٥)

١٠ – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤)

والريحان[١]، وأما ما ذكره أهل العلم في حالته وقصة إيمانه ، فقد ذكروا أنه كان مجذومًا سقيمًا ومنزله عند أقصى باب من أبواب القرية، وكان في غار يتعبد ، وكان مؤمنًا ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين : نصفًا لعياله ، ونصفًا يتصدق به [٢]، وأما في قصة إيمانه، فذكروا أنه عكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل دعَوْه إلى عبادة الله فقال : هل من آية ؟ قالوا : نعم ، ندعو ربنا القادر فيفرّج عنك ما بك فقال : إن هذا لعجب ! أدعو هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عني فلم تستطع ، يفرجه ربكم في غداة واحدة ؟! قالوا : نعم ، ربنا على كل شئ قدير ، وهذه لا تنفع شيئًا ولا تضر فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به ، كأن لم يكن به بأس[٣] ، وذكر الألوسي رحمه الله : " أن المرسلين اللذين أُرسلا أولاً لما قربا إلى المدينة رأياه يرعى غنمًا فسألهما فأخبراه فقال : أمعكما آية ؟ فقالا : نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن "[٤]، وجاء عند أهل التفسير أنه كان مؤمنًا قبل مجئ الرسل فقد حُكي القول بإيمانه عن أبي ليلى ، فجاء في البحر المحيط : " سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة عين : علي ابن أبي طالب، وصاحب يس ،ومؤمن آل فرعون "[٥]، ورُوي حديثا[٦] ولكنه لايصح[٧] ، وكذا ذكروا أنه ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما آمن به تُبعٌ الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن أحد بنبي غيره – عليه الصلاة والسلام– قبل ظهوره[٨]، والتحقيق أنه كان

---

١ – تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٤٩٩)

٢ – انظر : تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٠) ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩)

٣ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩) ، وانظر : البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، تفسير حدائق الروح والروحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٥٠٠)

٤ – روح المعاني ، الألوسي (٢٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦)

٥ – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، وانظر : الدر المنثور ، السيوطي (١٢ / ٣٤١)

٦ – الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، وانظر : الدر المنثور ، السيوطي (١٢ / ٣٤١)

٧ – أخرجه الطبراني في الكبير (١١ / ٩٣) ، حديث رقم : (١١١٥٢) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١ / ٢٤٩)، وقال عنه الألباني : موضوع ، السلسة الضعيفة (٣٥٥)

٨ – الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ / ٤٢٩) ، وتبع الأكبر : هو أسعد أبو كرب ، ملك اليمن ، أراد غزو البيت الحرام ، ثم شّرفه وعظّمه وكساه ، البداية والنهاية ، ابن كثير (٣ / ١٢٢) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، روح المعاني ، الألوسي (٢٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦) .

مؤمنًا بالمرسلين قبل مجيئه ونُصحه لقومه كما هو ظاهر الآيات ، أما الجزم بإيمانه أو عدمه قبل إرسال الرسل فلا يمكن القول به ؛ لتعارض ظواهر الأخبار في ذلك، يقول الألوسي رحمه الله في تقرير هذا : " والذي يترجح في نظري أنه كان مؤمنًا بالمرسلين قبل مجيئه ونُصحه لقومه، ولا جزم لي بإيمانه ولا عدمه قبل إرسال الرسل، وظواهر الأخبار في ذلك متعارضة ومع هذا لم يتحقق عندي صحة شئ منها والله أعلم بحقيقة الحال "[١]، وأما كيفية نهايته ، فأكثر المفسرين على أنه قُتل ، ثم اختلفوا في طريقة قتله على عدة أقوال أشهرها تسعة هي : أنهم وطِئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه مع دبره ، وأُلقي في بئر قيل هي الرس[٢] ، وزاد صاحب البحر المحيط : " وطئوه بأرجلهم حتى خرج قلبه مع دبره " [٣] ، وقيل : رموه بالحجارة حتى قتلوه [٤] ، وقيل : حرقوه أو قذفوه في النار [٥]، وقيل حفروا له حفرة ودفنوه فيها حيًا حتى مات [٦] ، وزاد القرطبي رحمه الله (٦٧١هـ) : " حفروا له حفرة وجعلوه فيها وردموا عليه التراب فمات ردمًا "[٧]، وقيل : نشروه بالمنشار [٨] ، وزاد صاحب البحر المحيط : " نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه "[٩]، وقيل : خنقوه ليموت[١٠] ، وقيل : وثبوا

---

١ – روح المعاني ، الألوسي (٢٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦)

٢ – انظر : تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٤) الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، زاد المسير ، ابن الجوزي (٧ / ١٣) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٥) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢) .

٣ – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٥ –٣١٦)

٤ – انظر : تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٣) ، الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، زاد المسير ، ابن الجوزي (٧ / ١٣) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٦) ، تفسير القران العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٥)، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٧٠)

٥ – انظر : البحر المحيط ، أبو حيان ٧ / ٣١٤) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢) ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٧٠ .

٦ – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٤) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢) ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٧٠) ،

٧ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠)

٨ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣١) ، فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢) ،

٩ – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٦)

١٠ – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢)

عليه وثبة رجل واحد فقتلوه [١]، وقيل: خرقوا خرقًا في حلقه وعلّقوه في سور المدينة[٢]، وقيل :لم يقتلوه بل رفعه الله إليه ، ذكر ذلك نزرٌ يسير من أهل التفسير منهم القرطبي[٣]، وأبو السعود[٤]، والشوكاني[٥] رحمهم الله ، والتحقيق : أن هذا القول مرجوح لأن كلام أكثر أهل العلم من المفسرين على خلافه وأنه قُتل كما سبق ، ويؤيد هذا عدة أمور منها : أن هذا ما تواترت به الأخبار واشتُهر في الآثار ، يقول ابن عطية رحمه الله (٥٤٦هـ) عند تفسير قوله تعالى : (قيل ادخل الجنة): " وهنا محذوف تواترت به الأحاديث والروايات وهو أنهم قتلوه، واختُلف كيف ، فقال قتادة وغيره : رجموه بالحجارة ، وقال عبدالله بن مسعود : مشوا عليه بأقدامهم حتى خرج قصبه من دبره ؛ فقيل له عند موته (ادخل الجنة) "[٦] ، ويؤكد هذا المعنى أيضًا الطاهر بن عاشور – رحمه الله – في تفسيره ،حيث يقول : " (قيل ادخل الجنة) ، القائل هو الله تعالى ، والمقول له هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، وإذا لم يقَصّ في المثل أنه غادر مقامه الذي قام فيه بالموعظة كان ذلك إشارة إلى أنه مات في مقامه ذلك ، ويُفهم منه أنه مات قتيلًا في ذلك الوقت أو بإثره ، وإنما سلك في هذا المعنى طريق الكناية ولم يصرح بأنهم قتلوه إغماضًا لهذا المعنى عن المشركين كيلا يسرّهم أن قومه قتلوه فيجعلوه من جملة ما ضرب به المثل لهم وللرسول صلى الله عليه وسلم فيطمعوا ، أنهم يقتلون الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة ، أما المشركون فيحسبون أن ذلك في الآخرة ، وقد يكون في الكلام البليغ خصائص يختص بنفعها بعض السامعين "[٧]، ومما يؤيد أنه قتل أيضًا أن هذا هو ما جاء في التفسير بالمأثور عن ابن عباس وعن ابن مسعود رضي الله عنهما، يقول الحافظ السيوطي رحمه الله : " أخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ،

---

١ – انظر : تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٤) ، الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧١) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤)

٢ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣١)

٣ – الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٣١)

٤ – تفسير أبو السعود (٤ / ٥٠٠)

٥ – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢)

٦ – المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٥١)

٧ – انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٧٠ – ٣٧١)

وابن المنذر عن كعب أن ابن عباس سأله عن أصحاب الرس ، فقال : إنكم معشر العرب تدعون البئر رسًا، وتدعون القبر رسًا، فخدوا أخدودًا في الأرض، وأوقدوا فيها النيران للرسل الذين ذكر الله في يس " ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس : ١٤] ، وكان الله تعالى إذا جمع لعبده النبوة والرسالة منعه من الناس – وكانت الأنبياء تقتل – فلما سمع بذلك رجل من أقصى المدينة وما يراد بالرسل أقبل يسعى ليدركهم فيشهدهم على إيمانه، فأقبل على قومه فقال : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ثم أقبل على الرسل فقال :﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ ليشهدوا على إيمانه، فأُخذ فقُذف في النار ، فقال الله تعالى : ﴿ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فقال : ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٥ – ٢٧]، وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما قال صاحب (يس) ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾خنقوه ليموت ، فالتفت إلى الأنبياء فقال ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي : فاشهدوا لي "[1]، ومما يؤيد ذلك أيضًا ، أنه أصبح يُضرب بشدة قتلته وقبحها المثلُ[2]، فقد ضربه النبي النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا لما فعله أهل الطائف بعروة ابن مسعود رضي الله عنه[3]، وضرَبَه كعبُ الأحبار لما فعله مسيلمة بحبيب بن يزيد بن عاصم، فقال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره : " حدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم، أنه حدث عن كعب الأحبار،

---

[1] – الدر المنثور ، السيوطي (١٢ / ٣٣٩)

[2] – انظر : دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٦)

[3] – انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٥ – ٣٥٦) ، الدر المنثور ، السيوطي (٤ / ٤٥٠ – ٤٥١)، حيث

قال الحافظ السيوطي رحمه الله " وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن عروة قال : قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذن ليرجع إلى قومه فقال له : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم قاتلوك ، قال : لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني ، فرجع إليهم فدعاهم إلى الاسلام فعصوه وأسمعوه من الأذى ، فلما طلع الفجر قام على غرفة له فأذن بالصلاة وتشهد ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتله : " مثل عروة مثل صاحب " يس " دعا قومه إلى الله فقتلوه " ، رواه الحاكم ، واللفظ له (٣ / ٦١٥ –٦١٦) ، والبيهقي (٥ / ٢٩٩ – ٣٠٠) ، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة برقم : (٦٢٨٠) .

قال : ذُكر له حبيب ابن زيد بن عاصم، أخو بني مازن النجار، الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول : أتشهد أن محمدًا رسول ؟ فيقول : نعم ، ثم يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع، فيقول مسيلمة أتسمع هذا ولا تسمع هذا ؟ فيقول : نعم ، فجعل يقطعه عضوًا عضوًا كلما سأله ، لم يزده على ذلك حتى مات في يديه، قال كعب حين قيل له : اسمه حبيب : وكان صاحب (يس) اسمه حبيب "[1]، فهذا الرجل المؤمن وصفه الله بالرجولة والمسارعة في الدعوة إلى الحق ، وقد رد قومه نصيحتَه أقبح رد وقتلوه شر قتلة ، فعاجلهم الله بعقوبته وأهلكهم بصيحة واحدة ، لم تبق لهم باقية ، وبشَّره بالنعيم المقيم والجنة العالية، فلما عاين نعيمها وما فيها من الكرامة وجزيل الخير والمثوبة ، قال متمنيا الخير لقومه : ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ، وخلد الله ذكره وأعلى قدره ورفع شأنه، ليكون لمن خلفة عبرةً وآية .

[1] – تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٠) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٥٥٦) ، ذكره عن ابن إسحاق به ، كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ / ٤٦٧) عن عبدالله بن عبدالرحمن أبي طوالة به .

المبحث الثاني

قصة مؤمن آل ياسين

جاءت قصة هذا الرجل المؤمن العظيم في عشر آيات كريمة من سورة يس بدايةً من قوله جل وعلا : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٠ – ٢٩] ، وسنبينها من خلال كلام أهل العلم بالتفسير رحمهم الله ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، هذا الرجل المؤمن اختلف أهل العلم فيه ، كما مر معنا من عدة نواحي من ناحية اسمه ومكانه ومهنته وحالته وقصة إيمانه وكيفية نهايته ، ومعنى من أقصى المدينة من أبعد موضع فيها ، وفيه دلالة على تبليغ الرسل للدعوة ووصولها إلى أطراف المدينة ، ووصف الله تعالى هذا المؤمن بالرجولة الكاملة، فجاءت كلمة رجل نكرة للتعظيم من شأنه وبيان مكانته وفضله عند الله عز وجل ، ويجوز أن يكون التنكير للدلالة على أن المرسلين لا يعرفونه ليتواطؤوا معه ، جاء يسعى أي يعدو ويسرع في مشيته حرصًا على نصح قومه ومحبةً للخير لهم[1]، فقال لهم : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، فأمرهم باتّباعهم ونصحهم على ذلك وشهد لهم بالرسالة ، ثم ذكر تأكيدًا لما شهد به ودعا إليه ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي : اتبعوا من نصحكم نصحًا يعود إليكم بالخير ، وليس يريد منكم أموالكم ولا أجرًا على نصحه لكم وإرشاده ، فهذا موجب لاتّباع من هذا وصفه بقي أن يقال : فلعله يدعو ولا يأخذ أجرةً ولكنه ليس على الحق ، فدفع هذا الاحتراز بقوله : ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه ، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل

[1] – انظر : روح المعاني ، الألوسي (٢٢ / ٢٢٥ – ٢٢٦)

الصحيح بقبحه ، فلم يقبل قومه نصحه لهم ، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل وإخلاص الدين لله وحده ، فقال :﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ، أي : وما المانع لي من عبادة من يستحق العبادة لأنه الذي فطرني وخلقني وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم ، فالذي بيده الخلق والرزق والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة هو الذي يستحق أن يُعبد ويُثنى عليه ويُمجد دون من لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا عطاءً ولا منعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ؛ ولهذا قال :﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ ، لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه ، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، من الضر الذي أراده الله بي ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا ﴾ ، أي : إن عبدت آلهةً هذا وصفها ﴿ لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ ، فجمع في هذا الكلام بين نصحهم ، والشهادة للرسل بالرسالة والاهتداء ، والإخبار بتعيّن عبادة الله وحده وذكر الأدلة عليها ، وأن عبادة غيره باطلة وذكر البراهين عليها ، والإخبار بضلال من عبدها والإعلان بإيمانه جهرًا مع خوفه الشديد من قتلهم له ، فقال : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ ، فقتله قومه – على خلاف في طريقة قتله كما مرَّ – لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به ﴿ قِيلَ ﴾ ، له في الحال :﴿ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ ، فقال مخبرًا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه ، وناصحًا لقومه بعد وفاته كما نصح لهم في حياته ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ ، أي : بأي شئ غفر لي فأزال عني أنواع العقوبات﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ ، بأنواع المثوبات والمسرات أي : لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم لم يقيموا على شركهم وكفرهم ، ثم قال الله عز وجل مبينًا عقوبة قومه ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، أي : ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم فننزل جندًا من السماء لإتلافهم ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ؛ لعدم الحاجة إلى ذلك ، وعظمة قدرة الله تعالى ، وشدة ضعف بني آدم ، وأنهم أدنى شئ يصيبهم من عذاب الله يكفيهم ، ﴿ إِن كَانَتۡ ﴾ ، أي : ما كانت عقوبتهم﴿ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ ، أي : صوتًا واحدًا تكلم به بعض ملائكة الله ﴿ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ ، قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم ، وانزعجوا لتلك الصيحة فأصبحوا خامدين لا صوت ولا حركة ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار ، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح

وتجبرهم عليهم[١] ، وقتْلِهم لهذا الرجل المؤمن الصادق ، وقد ذكر كثير من المفسرين صفة ما حل بهم من العقوبة والهلاك ، فقالوا : إن الله تعالى بعث إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعضادتي باب بلدهم ، ثم صاح فيهم، ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾[٢]، أي : موتى لاطئون بالأرض [٣]، وفي التعبير عن موتهم بالخمود دليل على أن الصيحة أحرقتهم حتى صاروا رمادًا، وقد حمل بعض المفسرين هذا التعبير على التشبيه ، يقول ابن عطية رحمه الله : " شُبهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطفئت"[٤]، والظاهر أن التعبير عن موتهم بالخمود على حقيقته ، وأن الصيحة التي عُذبوا بها كانت عبارة عن صاعقة أحرقتهم حتى صارت أجسادهم رمادًا لابدًا بالأرض، وهذا ما يُشعِر به ظاهر القرآن ، وما تدل عليه أخباره عن نظرائهم ، وهم ثمود ومدين ، وبهذا يظهر ضعف القول بأن الصيحة صدرت عن جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة ، وبخاصة أنه قولٌ لا دليل عليه من شرعنا، فيُحتمل أن يكون من أخبار أهل الكتاب التي في شرعنا ما يُشعر بخلافها[٥]، وهكذا تكون عاقبة كل معاند لله عز وجل مُعْرضًا عن الإيمان به وعن اتباع رسله، وفي ذلك تهديد وتحذير لكفار قريش في تماديهم في غيهم وكفرهم ، وعدم إيمانهم بالله جل وعلا ، واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم .

---

١ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي (١٤٤٩ – ١٤٥١)

٢ – انظر : تفسير البغوي (٤ / ١١) ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٥ / ٢٠) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٩) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٦)

٣ – انظر: المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٥٢)

٤ – المحرر الوجيز، ابن عطية (٤ / ٤٥٢)وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٥ / ٢٢) ، تفسير أبي السعود (٤ / ٥٠١) .

٥ – دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٦ – ٤٧)

المبحث الثالث

الدلالات العقدية التي اشتملت عليها قصة مؤمن آل ياسين

هذه القصة الجليلة من أعظم الأساليب القرآنية في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتشييد بنائها فقد عرضت قضايا العقيدة الكبرى ، وبينت معاني الإيمان وثمراته وحسن عاقبته ، ودحضت الكفر وبينت سوء عاقبته ، عرضًا شافيًا ، وأقامت على ذلك الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، كما عرضت عقائد الشرك المتهافتة ، ودمغتها دمغًا أسقطها ودحضها ، ففيها دلالات عقدية واضحة عظيمة حريٌ بالمسلم أن يتأملها عند تدبره لآياتها الكريمة، وأن يعمل بما فيها من العظة والعبرة ، ويزداد يقينه بعظمة الله وكمال قدرته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد تمثلت هذه الدلائل في تقرير الإيمان بالله تعالى ، وإثبات الإيمان بالرسل، وإثبات اليوم الآخر، وتقرير الإيمان بالقدر، وهذا ما سيتم الحديث عنه من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : تقرير الإيمان بالله تعالى :

تدور قصة مؤمن آل ياسين – رضي الله عنه ورحمه– حول منزلة الإيمان وأهميته ، وأن هذا الرجل المؤمن جاء يسعى حرصًا على نصح قومه ومحبةً للخير لهم ودفاعًا عن رسل الله – جل وعلا – وإيمانًا بهم ، فأعلن إيمانه ، ولم يستجب قومه لنصحه ، بل ردوه أقبح رد ، وقتلوه شر قتلة ؛ فغفر الله له وأدخله الجنة ، وأهلكهم شر إهلاك ، وقد اشتملت الآيات القرآنية التي تذكر هذه القصة الخالدة على معظم مباحث الإيمان : من الإيمان بالله تعالى ، والإيمان بالرسل عليهم السلام ، والإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالقدر ، وبعض المسائل المتعلقة بهذه المباحث ، مما يعني أن القصة اشتملت على أركان الإيمان الستة ، ما عدا الركن الثاني والثالث وهما : الإيمان بالملائكة عليهم السلام ، والإيمان بالكتب، والكلام على الإيمان يتطلب منا تعريفَه ، وذِكْرَ مذهب أهل السنة والجماعة فيه، وبيانَ أركانه وأهميته ، فالإيمان في اللغة : مأخوذ من التصديق ، فهو يرد بمعنى التصديق الذي معناه أمن ، يقال: آمن به إيمانًا ، أي : صدق ، وأمن كذب المخبر[١]، وقد نقل الأزهري وغيره جواز أن يكون اسم (المؤمن) مشتقًا من هذا المعنى ، لأن الله يصدق أولياءه فيما

[١] – انظر: المفردات ، الراغب الأصفهاني (٢٦) ، لسان العرب ، ابن منظور (١٣ / ٢٣) ، القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٤ / ١٩٩)

يدعون إليه من التوحيد ، ويصدق شهادتهم على الأمم يوم القيامة ، ويصدقهم في عِدَاتِ الدنيا والآخرة [١] ، وقيل مأخوذ من الأمان ، وهو طمأنينة النفس ، وذهاب الخوف ، يقال: أمن فلان ، يأمن ، أمْنًا ، وأمَنًا ، وأمَنَةً ، وإمْنًا ، وأمانًا ، فهو آمِن وأمين ، ويقال : آمن فلان فلانًا إيمانًا فهو مؤمن ، وأمِن . ويقال: استأمنني فلان فآمنته أومنه إيمانًا [٢]، واسم (المؤمن) مشتق من هذا المعنى عند الجوهري وغيره ؛ لأن الخلق يأمنون ظلمه ، أو لأن أولياءه يأمنون عذابه [٣] ، والتحقيق أن الإيمان في اللغة مأخوذ من المعنى الثاني ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤]، وهو أن الإيمان مأخوذ من الأمن أو الأمان ، لأن المؤمن تأمن نفسه بإيمانه ، وتطمئن وتسكن ، ولهذا فسره الخليل بالطمأنينة [٥] ، أو لأن المؤمن بتصديقه وعمله يسعى في أمان نفسه من عذاب الله ، كما ذكره البغوي[٦] ، وأما الإيمان في الشرع في معتقد أهل السنة والجماعة فهو: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٧]، قال الإمام أحمد : " الإيمان قول عمل يزيد وينقص "[٨] ، ومن أدلة السلف الجامعة لهذا التعريف ، حديث شعب الإيمان : " الإيمان بضع وسبعون ، أو ستون شعبة ، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " [٩] ، وأركانه ستة ، وهي الواردة في حديث جبريل عليه السلام المشهور ، عندما سأله عن الإيمان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر

---

١ – انظر: تهذيب اللغة ، الأزهري (١ / ٢١١) ، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (١ / ١٣٥) ، لسان العرب، ابن منظور (١٣ / ٢٦) ، دراسات في المثلات ، د.عيسى السعدي (٩٢)

٢ – انظر: لسان العرب ، ابن منظور (١٣ / ٢١ – ٢٢) ، القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (٤ / ١٩٩)

٣ – انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢١١/١، الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٧١، دراسات في المثلات ، د.عيسى السعدي (٩١)

٤ – انظر مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٧ / ١٢٢) ، وزيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه ، البدر (١٧)

٥ – انظر: تهذيب اللغة ، الأزهري (١ / ٢١١)

٦ – انظر: تفسير البغوي (١ / ٤٦٩) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٩٢)

٧ ــ انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (١ / ١٥٩) ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٣ / ١٥١) ، (٧ / ٥٠٥) ، زيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه ، البدر (١٢١)

٨ – كما رواه عنه ابنه عبد الله في كتاب السنة (١ / ٢٠٧) .

٩ – صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أمور من الإيمان ، حديث رقم : (٣٥٥٠).

خيره وشره، قال: صدقت"[١] ، و الإيمان بالله تعالى أعظم أصول الاعتقاد ، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ؛ لأنه لا حياة للقلوب إلا بمعرفة ربها وتوحيده قولًا وعملًا[٢]، ومما يدل على الإيمان بالله تعالى في هذه القصة المباركة قوله جل وعلا : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ [يس : ٢٥] ، قال أبو السعود رحمه الله (٩٨٢هـ) في تفسيره : " (إني ءامنت بربكم)، خطاب منه للرسل بطريق التلوين ، قيل لما نصح قومه بما ذكر همُّوا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك ، وإنما أكده لإظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب إلى ضميرهم رومًا لزيادة التقرير ، وإظهارًا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذي أرسلكم أو الذي تدعوننا إلى الإيمان به ، (فاسمعون) أي : اسمعوا إيماني واشهدوا لي به عند الله تعالى ، وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك إظهارًا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل، وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام أربابًا، وقيل للناس جميعًا "[٣]، وحتى يكون المسلم مؤمنًا بالله عز وجل إيمانا ينفعه عند الله ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم – لابد أن يؤمن بأربعة أمور : يؤمن بوجود الله جل وعلا وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[٤] ، وأن يبتعد عما يبطل الإيمان من الشرك، وقد اشتملت قصة مؤمن آل يس على تقرير هذه الأمور الأربعة وإبطال الشرك ، وإليك بيان ذلك :

أولاً : تقرير وجود الله سبحانه وتعالى :

وجود الله عز وجل أعظم موجود ووجوده لا يحتاج إلى دليل فكل ذرة في هذا الكون الفسيح تشهد بوجود خالقها ومدبرها سبحانه وتعالى، فوجوده – سبحانه – ومعرفته من الحقائق الفطرية البديهية الراسخة والمستقرة في نفس كل إنسان ، فالأدلة على ذلك لا يحصرها العد ولا يحيط بها الحد ، بل إن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على مدلول ، وقد جعل الله لكل إنسان من الدلائل المعينة التي

---

[١] – صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والاسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم : (٥٠)

[٢] – مدارج السالكين ، ابن القيم (٣ / ١٤٦) ، شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، (٦٩)

[٣] – تفسير أبو السعود (٤ / ٤٩٩)

[٤] – انظر : نبذة في العقيدة الإسلامية ، ابن عثيمين (١٦ – ٢٧)

يُريه إياها في نفسه وفي الأفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون [1] ، كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ، ثم إن في إهلاك قوم مؤمن آل ياسين بعد كفرهم وعدم إيمانهم بالرسل الذين أرسلهم الله إليهم وقتلهم له شر قتلة – آيةٌ واضحة على وجود رب عظيم قادر منتقم ، يصدق رسلَه وأولياءه ، ويحفظهم ، ويظهر دينهم ، وينتقم لهم ، ويهلك عدوهم ، يقول ابن الوزير رحمه الله (٨٨٠هـ) : " بمثل هذا يُعلَم الله ضرورةً ، لأن مثل ذلك يستحيل أن يكون صدفة أو طبعًا"[2]، ويقول ابن عطية رحمه الله في تفسير قوله : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ : " هذه مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فيها توعُّدٌ لقريش إذ هذا هو المروع لهم من المثال ، أي ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بقوم حبيب النجار ، فنفى – عز وجل – أنه أنزل على قوم هذا الرجل (من جند من السماء) ،قال مجاهد: أراد أنه لم يرسل رسولا ولا استعتبهم ، قال ابن مسعود : أراد لم يحتج في تعذيبهم إلى جند من جنود الله تعالى كالحجارة والغرق والريح وغير ذلك ، بل كانت صيحة واحدة لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك ، قال قتادة : واللهِ ما عاتب الله تعالى قومه بعد قتله حتى أهلكهم "[3]، فإهلاكهم، وحسن العاقبة لهذا الرجل المؤمن العظيم، وما قام به من إقامة الحجج الدامغة على ربوبية الله عز وجل ، وتفرده بالخلق والإيجاد والنفع والضر ، وإبطال تعلق قومه بغير الله عز وجل – آياتٌ بينات ودلالات واضحات على وجود الله عز وجل وتفرده بالعظمة والقوة والكبرياء .

ثانيا : تقرير توحيد الله عز وجل :

التوحيد: مصدر تدل مادته على الإنفراد ، يقال: رأيته وحده ، أي: منفردًا ليس معه غيره، وتوحد برأيه، أي : تفرد به، ويقال : جاءوا أُحاد أُحاد ، أي: فرادى ، فالواحد

---

[1] – انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية (٦ / ٣٧٨)

[2] – انظر : إيثار الحق على الخلق ، ابن الوزير (٥٥ – ٥٦)

[3] – المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٥٢)

بمعنى المنفرد[١]، وإذا وُصف الله تعالى بالواحد كان معناه: الفرد الذي لا نظير له ولا شريك ، فيقال: وحّد اللهَ ، وأحّده توحيدًا، إذا اعتقده واحدًا فردًا ، لا نظير له في ذاته وصفاته ، ولا شريك له في خلقه وأمره ، ولا ند له في إلهيته وعبادته[٢].

أما التوحيد شرعًا فهو : إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[٣] ، فلا معبود بحق سواه ، قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد : ١٩] ، ولا شريك له في الخلق والأمر ، قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾[الأعراف : ٥٤] ، و لا مثيل له ولا نظير ، بل له – سبحانه وتعالى– الكمال المطلق المنزه عن جميع النقائص قال الله عز وجل : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وهذا التوحيد : ثلاثة أقسام كما دلت على ذلك نصوص الكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وقد اجتمعت في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم : ٦٥][٤] ، ولأهمية التوحيد ومكانته العظيمة تنوعت وكثرت براهينه حتى فاقت العد ، ورأى بعض أئمة السلف في كل آية من كتاب الله تعالى دليلًا على التوحيد [٥] ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ) : " إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد ، شاهدة به ، داعية إليه ، فإن القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن كرامة الله

---

١ – المفردات الراغب الأصفهاني (٥١٤– ٥١٥) ، وانظر: الصحاح ، الجوهري (٢ / ٥٤٧– ٥٤٨) ، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٦ / ٩٠– ٩١) ، القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (١ / ٥٣٦– ٣٥٧) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٤١)

٢ – انظر: تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبد الله (٣٢– ٣٣) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٤٢)

٣ – شفاء العليل ، ابن القيم (٣٦٦) ، القول المفيد ، ابن عثيمين (١ / ١١) .

٤ – القول المفيد ، ابن عثيمين (١ / ٩)

٥ – دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٤٣)

لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد ، والقرآن كله في التوحيد ، وحقوقه ، وجزائه ، وفي شأن الشرك ، وأهله وجزائهم"[1] ، وهذه القصة الخالدة ، جاء فيها تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة، وإبطال الشرك ، ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية :

١- إثبات توحيد الربوبية :

تعريف توحيد البربوبية : هو أن يعتقد العبد أن الله هو الرب ، المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم ، وربَّى خواص خلقه – وهم الأنبياء وأتباعهم – بالعقائد الصحيحة ، والأخلاق الجميلة ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح ، المثمرة لسعادة الدارين[2]، وقد عرفه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله (١٤٢١هـ) فقال : فأما توحيد الربوبية : فهو إفراد لله تعالى بالخلق ، والملك ، والتدبير ، ومن أدلته قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف : ٥٤][3].

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على توحيد الربوبية :

من خلال تعريف توحيد الربوبية السابق يتضح لنا دلالة هذه القصة العظيمة عليه فالله جل وعلا هو الخالق المالك المدبر ، فلقد قرر هذا الرجل المؤمن لقومه أن سبب عبادته لله عز وجل هو كونه الخالق له سبحانه المدبر لجميع شؤونه، يقول الحافظ أبو جعفر الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) في تفيسره : " ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، أي : وأي شئ لي لا أعبد الذي خلقني ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم ، وتُردُّون جميعًا ، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده "[4]، وقال ابن الجوزي رحمه الله (٥٩٧هـ) عند بيان معنى هذه الآية

---

[1] – مدارج السالكين ، ابن القيم (٣ / ٤٥٠) .

[2] – القول السديد ، السعدي (١٩) .

[3] – تقريب التدمرية ، ابن عثيمين (١١٠) .

[4] – تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٢)

الكريمة : " وأي شئ لي إذا لم أعبد خالقي "[١]، وقال الإمام القرطبي رحمه الله مبينا سبب إضافة الفطرة إلى نفسه في قوله : (الذي فطرني) وإضافة الرجوع إليهم في قوله : (وإليه ترجعون) : " وهذا احتجاج منه عليهم، وأضاف الفطرة إلى نفسه ، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم ؛ لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكرًا ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثرًا "[٢]، كما ذكر – رحمه الله – أن هذا الرجل المؤمن أثبت أن الله – جل وعلا – هو ربُه وربُهم جميعًا حين صدع بقوله : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ ، قال ابن مسعود : خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم ، ومعنى (فاسمعون) أي : فاشهدوا ، أي : كونوا شهودي بالإيمان ، وقال كعب و وهب : قال ذلك لقومه : إني آمنت بربكم الذي كفرتم به "[٣]، وقال صاحب البحر المحيط في معنى هذه الآية الكريمة : " أي : اسمعوا قولي وأطيعون ، فقد نبهتكم على الحق ، وأن العبادة لا تكون إلا لمن منه نشأتكم ، وإليه مرجعكم "[٤]، فالذي خلق وأوجد ورزق هو المستحق للعبادة وحده دون سواه ، فهذا استدلالٌ بالربوبية على الألوهية والعبادة ، وبهذا يتضح لنا دلالة هذه القصة على ربوبية الله عز وجل مع تميزها بالمجادلة والحوار ، وقوة الحجة ، وروعة الأسلوب .

٢– إثبات توحيد الألوهية :

الإلهية نسبة للإله ، وهو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة ، وإجلالًا وإكرامًا وتعظيمًا ، وذلًا وخضوعًا، وخوفًا ورجاءً وتوكلًا [٥] ، و توحيد الألوهية : هو توحيد الله بأفعال العباد ، أو هو : إفراد الله عز وجل بالعبادة ، وهذا التوحيد هو الذي خلق الله عز وجل الخلق من أجله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (٦٨هـ) : " إلا ليوحدون "[٦] ، وهذا النوع من التوحيد هو معنى : لا إله إلا الله ، إذ معناها لا معبود بحق إلا الله عز

---

١ – زاد المسير ، ابن الجوزي (٧ / ١٣)

٢ – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠)

٣ – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠)

٤ – البحر المحيط ، ابو حيان (٧ / ٣١٥)

٥ – إغاثة اللهفان ، ابن القيم (١ / ٢٧)

٦ – شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز (٧٧) .

وجل ، وهو توحيد العبادة الذي يعني إخلاص العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له ، و هو فرض الله الأعظم ، وحق الله الخالص على جميع العباد ؛ ولهذا صدرت به الأوامر والوصايا الشرعية ، وكثرت فضائله وآثاره الحميدة ، وتنوعت طرق بيانه وتفسيره ، واطرد الترهيب مما يقدح في أصله وكماله ، وحفل النقل ببيان أدلته الأفقية والنفسية والعقلية[١] ، والعبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع ، ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللا بكثرة الوطء[٢] ، وأما في الشرع فالعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[٣] ، ويُشترط لقبولها شرطان : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨هـ) : " ولا بد في عبادته من أصلين : أحدهما إخلاص الدين لله ، والثاني : موافقة أمر الله الذي بعث به رسله "[٤].

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على توحيد الألوهية :

لقد دلت هذه القصة الخالدة على ألوهية الله عز وجل على خلقه ، بأوضح أسلوب وأسهل طريق ، فمن تفرد بالخلق والتدبير والقهر والتقدير، فهو المستحق للعبادة والخضوع والتعظيم وحده لا شريك له ، فحاجة العبد الى عبادة ربه وعدم الإشراك به فوق كل حاجة فحقيقة العبد قلبه وروحه ، ولا صلاح له إلا بالله سبحانه، ولا يطمئن إلا بذكره ، ولا صلاح له إلا بمحبته وإخلاص العبادة له ، فهو الإله الحق وكل ما سواه باطل[٥] ، وقصة مؤمن آل ياسين انتظمت في تقرير ذلك ، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله : " ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ، أي : وما المانع لي من عبادة من يستحق العبادة لأنه الذي فطرني وخلقني وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم ، فالذي بيده الخلق والرزق والحكم بين العباد في الدنيا والآخرة هو الذي يستحق أن يعبد ويثنى عليه ويمجد ، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا عطاء ولا منعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا "[٦]، ويقول ابن عطية رحمه الله

---

١ – انظر: القول السديد ، السعدي (١٣ ـ ٦٩) ، الأدلة العقلية ، سعود العريفي (٥٧ . ٨٢) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٦٩)

٢ – لسان العرب ، ابن منظور (٣ / ٢٧٣) .

٣ – العبودية ، ابن تيمية (٤٤) .

٤ – التدمرية ، ابن تيمية (٢٣٣) .

٥ – انظر : طريق الهجرتين ، ابن القيم (٥٦ – ٥٨)

٦ – تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي (١٤٥٠)

في تقرير ذلك : "﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ، تقرير لهم على وجهة التوبيخ في هذا الأمر الذي يشهد العقل بصحته أن من فطر واخترع وأخرج من العدم إلى الوجود هو الذي يستحق أن يعبد "[١]، ويقول الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠هـ) في بيان معنى الإنكار من مؤمن آل ياسين على قومه : " ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ، فجعل الإنكار متوجها إلى نفسه ، وهم المرادون به ، أي : أأتخذ من دون الله آلهة وأعبدها ، وأترك عبادة من يستحق العبادة وهو الذي فطرني "[٢]، فهذا الرجل المؤمن المخلص في توحيده ودعوة قومه إلى الحق والهدى قد أقام الحجة عليهم بأروع بيان وأفصح لسان ، فهو- أولاً – خاطبهم بلغة الرفق والشفقة قائلاً (يا قوم)، أي: أنا منكم وأنتم مني ، وإني أخاف عليكم وأحب لكم الخير ، ثم قال : (اتبعوا المرسلين) فالرسل هم صفوة الله من خلقه ، ومن تبعهم فاز فوزًا عظيمًا ويكون صحابيًا جليلًا لهم ، ثم بين لهم مدى صلاح الرسل وزهدهم في الدنيا بأنهم أُناس يحبونكم ، ويشفقون عليكم ، ولا يأخذون مالًا على دعوتهم ، ثم بعد ذلك دعاهم هو بنفسه ، وبين لهم سببَ إفرادِ الله تعالى بالألوهية والربوبية والعبودية ، فهو سبحانه الخالق ، الرازق ، المالك ، الذي يملك وحده النفع والضر ، وأن هذه الأوثان لا تملك شيئًا ، ولا تستطيع أن تجيب دعوة الداعي إذا دعاها، ولا تنفع ولا تضر[٣]، وقد تضمنت قصة مؤمن آل ياسين عدة أنواع من العبادات الظاهرة كالنصحية ،والدعوة إلى الله بتوحيده وعبادته ، وترك عبادة ما سواه، والأمر بالمعروف الذي أعظمه توحيد الله تعالى ، والنهي عن المنكر الذي أعظمه الشرك بالله عز وجل ، يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره : " ووصْفُ الرجلِ بالسعي يفيد أنه جاء مسرعًا وأنه بَلَغَهُ هَمُّ أهلِ المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل ، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنه ممن يُقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر " [٤] ، وتضمنت أعظمَ صفاتٍ ينبغي أن يَتحلى بها كل داعٍ إلى الله ، وفي مقدمتها الإخلاص لله تعالى وهي من العبادات الباطنة العظيمة التي كانت سببًا في دخوله الجنة وبشارته الفورية

---

١ – المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٥١)

٢ – فتح القدير ، الشوكاني (٤٨١)

٣ – انظر : مؤمن آل ياسين وأصحاب القرية دروس وعبر ، د.سمير أحمد (٣٧)

٤ – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٦)

بها ، فمن عظُم توحيدُه وإخلاصه فقد يُجزى بإدخال رُوحه الجنةَ ساعةَ موته ، وكذلك من عظُم إشراكُه وإجرامُه فقد يُخزى بإدخال رُوحه النارَ ساعةَ موته[1]، فهذا الرجل الموفق أُدخلت روحه الجنة ساعة موته ، قال قتادة : " أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق"[2]، تكريمًا لتوحيده وإخلاصه ، ومن صفات الداعية التي اشتملت عليها هذه القصة أيضًا ، محبة الخير للمدعوين والحرص على هدايتهم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٧٧٤هـ) في تفسيره : " قال قتادة : لا تَلقى المؤمنَ إلا ناصحًا ، لا تلقاه غاشًا ، فلما عاين من كرامة الله ، قال : ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ ، تمنى على الله أن يَعلم قومُه ما عاين من كرامة الله ، وقال ابن عباس : نصح قومه في حياته بقوله : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ، وبعد مماته في قوله : ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ ، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم – لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضي عنه ، فلقد كان حريصًا على هداية قومه"[3]، فيتضح لنا اهتمام هذه القصة الخالدة بهذا النوع الجليل من التوحيد إذ هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها والمتضمن لها جميعًا ولا يصير العبد مؤمنًا إلا بتحقيقه ، وهو الذي لأجله خلق الله عباده ، وأنزل كتبه، وبعث أنبياءه ورسله عليهم السلام ، كما قال عز وجل :﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل : ٣٦] .

٣- إثبات توحيد الأسماء والصفات :

ومعناه : أن يُوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم نفيًا وإثباتًا : فيُثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثباتُ ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك

---

[1] – انظر: شرح العقدية الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (٤١٣ ـ ٤١٩)

[2] – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٥ / ٢٠) ، وانظر: تفسير الطبري (٢٢ / ١٦١) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٨) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٧٧ – ١٧٨)

[3] – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٥)

ينفون عنه ما نفاه عن نفسه من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته ، فإن الله – تعالى– ذمّ الذين يلحدون في أسمائه وآياته ، فقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت : ٤٠] ، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه ، وتنزيهًا بلا تعطيل ، قال تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ففي قوله : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ) ، ردٌ للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله : (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) ، ردٌ للإلحاد والتعطيل[١].

وتنقسم الصفات باعتبار مدلولها إلى : ثبوتية وسلبية ، وتنقسم الصفات الثبوتية باعتبار متعلقها إلى : ذاتية واختيارية ، فالذاتية هي اللازمة لِذاتِ الرب أزلًا وأبدًا ، كالحياة والوجه واليدين والعلو ، والاختيارية هي الصفات المتجددة تبعًا لمشيئة الرب وقدرته ، ومن ذلك غضب الله عز وجل لمؤمن آل ياسين ، وإهلاك قومه بالصيحة المهلكة ، ورحمته بإدخاله الجنة العالية والنعيم المقيم ، وهذه الصفات الاختيارية إما من باب الأفعال كالخلق والنزول ، أو من باب الأقوال كالأمر والنهي ، أو من باب الأحوال كالرضا والغضب ، أو من باب الإدراكات كالسمع والبصر[٢]، وفيما يلي بيان لما اشتملت هذه القصة الكريمة من ذلك .

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على الأسماء والصفات :

لقد احتوت قصة مؤمن آل ياسين على ألفاظ تدل على توحيد الأسماء والصفات ، إما بشكل مباشر أو بدلالة الالتزام التي تُفهَم من خلال التحليل للآيات ، و يُفهَم ذلك من خلال السياق العام للآيات التي ذكرت القصة ، فورد فيها اسمان كريمان لله عز وجل، الرب والرحمن، وهما أعلام وأوصاف ، ولهما أثرهما ، فكل اسم ورد يقتضي

---

١ – التدمرية ، ابن تيمية (٤) .

٢ – انظر: درء التعارض ، ابن تيمية (٤ / ٢٣) ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٦ / ٢١٧– ٢٦٢) ، القواعد المثلى في أسماء الحسنى ، ابن عثيمين (٢٥) ، ابن تيمية السلفي ، د. محمد الهرّاس (١١٠– ١١١) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٥٠ – ١٥١) .

وجود الصفة المختصة بالاسم، ويستلزم وجود الصفات الأخرى، وستُ صفاتٍ كريمة هي: العلو، والمعغرة ، المشيئة، والقدرة، والعلم، والغضب، وفيما يلي بيان ذلك :

أولًا: دلالة قصة مؤمن آل ياسين على أسماء الله تعالى :

لقد اشتملت هذه القصة الجليلة ، على اسمين كريمين لله عز وجل ، هما :

١- **الرب** : وقد جاء ذلك في قوله سبحانه : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ : [يس : ٢٥] ، وقوله عز وجل : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٧] و معنى اسم الرب أي : " السيد الذي لا شِبهَ له ، ولا مِثلَ في سؤدده ، والمصلحُ أمرَ خلقه ، بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر " [١] ، قال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " والرب هو السيد ، والمالك ، والمنعم ، والمربي ، والمصلح ، والله تعالى : هو الرب بهذه الاعتبارات كلها ، فلا شيء أوجب في العقول والفِطَر من عبادة من هذا شأنه – وحده لا شريك له– " [٢] ، يقول الشوكاني رحمه الله في بيان معنى خطاب مؤمن آل ياسين في قوله تعالى : " ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ ، خاطب بهذا الكلام المرسلين ، قال المفسرون : أراد القوم قتله ، فأقبل هو على المرسلين ، فقال : إني آمنت بربكم أيها الرسل فاسمعون ، أي : اسمعوا إيماني واشهدوا لي به ، وقيل : خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلبًا في الدين وتشدّدًا في الحق "[٣]، " فالمعنى : على أنه خطاب لقومه : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾ ، الذي خلقكم ورباكم بأنواع النعم ، وإنما قال : ربكم ، ولم يقل :آمنت بربي ، ليعلموا أن ربهم هو الذي يعبده هو فيعبدوه هم، ولو قال : إني آمنت بربي ، لعلهم يقولون : أنت تعبد ربك ، ونحن نعبد ربنا ، وهو آلهتهم ﴿ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ ، أي : أجيبوني في وعظي ونصحي ، واقبلوا قولي ، كما يقال : سمع الله لمن حمده ، أي : قَبِله ، فالخطاب للكفرة ، شافههم بذلك إظهارًا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل "[٤] ، وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في بيان معنى (ما) ، في قوله تعالى: "

---

١ – تفسير الطبري (١ / ٢٣٦) .

٢ – بدائع الفوائد ، ابن القيم (١ / ١٣٢) .

٣ – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢)

٤ – تفسير حدائق الروح والريحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٥٠٣)

﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ، وما ، مصدرية ، أي : يعلمون بغفران ربي وجَعْلِه إياي من المكرمين ، والمراد بالمكرمين : الذين تلحقهم كرامة الله تعالى وهم الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] ، يعنى الملائكة وعيسى عليهم السلام "[١]، واسم ، (الرب) : يدل بدلالة المطابقة على صفة الربوبية وذات الله ، وعلى أحدهما بدلالة التضمن ، وبدلالة اللزوم على الصفات الأخرى : كالحياة ، والقيومية ، والخلق ، والسمع ، والبصر .

٢- **الرحمن** : وذلك في قوله جل وعلا : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[يس : ٢٣] ، والرحمن : من الأسماء المختصة بالله تعالى ، فلا يجوز أن يُسمى به غيره ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ، وإلى هذا الاسم الشريف ترجع معاني أسماء الإحسان والبر[٢] ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " أصول الأسماء الحسنى هي اسم الله ، الرب ، والرحمن ، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية ، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان ، والجود ، والبر ، ومعاني أسمائه تدور على هذا " [٣] ، واسم الرحمن يدل على اتصاف الله تعالى بالرحمة الشاملة الكاملة التي وسعت الخلق كلهم ، وهذا العموم في الرحمة يستحيل أن يوجد لغير الله تعالى، وأن يكون له في هذه الرحمة التامة العامة ند أو مثيل [٤] ، يقول الإمام الطبري رحمه الله (٣١٠هـ) في تفسيره : " وقوله : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ، يقول: أأعبد من دون الله آلهة ، يعني : معبودًا سواه ، ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ ، يقول : إن مسني الرحمن بضر وشدة ﴿ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ ، يقول : لا تغن عني شيئًا بكونها شفعاء ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، يقول : ولا يُخَلِّصوني من ذلك

---

١ – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٧١)

٢ – الجامع لمباحث الأسماء والصفات ، د.عيسى السعدي (٦١ – ٦٢)

٣ – الفوائد ، ابن القيم (٢٦)

٤ – الجامع لمباحث الأسماء والصفات ، د.عيسى السعدي (٦٢)

الضر إذا مسني "[1]، ويبين الطاهر بن عاشور رحمه الله سبب كون مؤمن آل ياسين جاء باسم الرحمن بدلًا من لفظ الجلالة في مخاطبة قومه ومُحاجَّتهم فيقول : " وجاء بوصف الرحمن دون اسم الجلالة لكونه صالحًا لعقيدة الفريقين ؛ لأن اليونان لا يعرفون اسم الله ، ورب الأرباب عندهم هو (زفس) وهو مصدر الرحمة في اعتقادهم ، واليهود كانوا يتجنبون النطق باسم الله الذي هو في لغتهم (يهوه) فيعوضونه بالصفات "[2]، والرحمن جاء على وزن (فعلان) الدال على الصفة الثابتة اللازمة الكاملة ، أي : من صفته الرحمة ، فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحاب والمسار والخيرات من آثار رحمته ، كما أن ما صرف عنهم من المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته ، فلا يجلب الحسنات ولا يدفع السيئات إلا هو ، فهو أرحم الراحمين جل وعلا [3]، وإدخال مؤمن آل ياسين الجنة فور قتْل قومه له ، وبشارته بها ومعاينته لها ، وتمنيه علم قومه بما حصل عليه من الكرامة والفوز والرضا ، وما حاق بقومه من الخزي والعذاب الغليظ – من أعظم معاني اتصاف الله جل وعلا بصفة الرحمة ، وأظهر معنى رحمته لأولياءه ونصرته لهم .

ثانيًا: دلالة قصة مؤمن آل ياسين على صفات الله سبحانه وتعالى:

لقد دلت هذه القصة الخالدة على صفات الله سبحانه وتعالى بصورة مباشرة ، أو بدلالة الالتزام التي تُفهَم من خلال التحليل للآيات ، و يُفهَم ذلك من خلال السياق العام للآيات التي وردت فيها القصة ، وفيما يلي بيان لهذه الصفات المباركة :

١ – **العلو** : وذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾[يس : ٢٨]،فنفى – سبحانه – إنزال جنود من عنده من السماء لإهلاك قوم هذا المؤمن الصادق بسبب كفرهم وعنادهم ، فما كانت إلا صيحة واحدة أهلكتهم عن بكرة أبيهم، ولا شك أن الإنزال والنزول يكون من أعلى إلى أسفل فدل ذلك على علو الله سبحانه واتصافه بهذه الصفة الجليلة ، وعلو الله على خلقه من الصفات المعلومة بالفطرة والعقل والسمع، وآحاد هذه الأدلة لا تكاد تُحصى ؛ ولهذا

---

[1] – تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٢ – ٤٢٣)

[2] – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦١)

[3] – انظر : فقه الأسماء الحسنى ، البدر (١٠٣)

كان جماهير الخلق من جميع الطوائف على إثبات العلو[١]، وصفة العلو صفة ذاتية " وينقسم علوه – سبحانه – إلى قسمين : علو ذات وعلو صفات ، فأما علو الذات فمعناه : أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها ، سواء أكانت من صفات المجد والقهر ، أم من صفات الجمال والقدر ، وأما علو الذات ، فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه "[٢]، وصفة العلو اشتق منها : (العلي) ، والعلي هو العالي الرفيع الذي ليس فوقه شيء ، وهو يدل على صفة العلو بالمطابقة مع دلالته على ذات الله ، وعلى أحدهما بالتضمن ، وبالالتزام على صفة العظمة ، والاستواء ، والكبرياء ، والتدبير ، والربوبية ، يقول الشوكاني رحمه الله عند تفسير قول الله جل وعلا ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ : " أي : وما صح في قضائنا وحكمنا أن ننزل لإهلاكهم جندًا لِسبْق قضائنا وقدَرنا بأن إهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند ، وقال قتادة ومجاهد والحسن : أي ما أنزلنا عليهم من رسالة من السماء ، ولا نبي بعد قتله ، وروي عن الحسن أنه قال : هم الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء ، والظاهر أن معنى النظم القرآني تحقير شأنهم وتصغير أمرهم ، أي ليسوا بأحقاء بأن ننزل لإهلاكهم جندًا من السماء ، أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قوله : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ "[٣]

٢- **المغفرة** : وذلك في قوله سبحانه : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦ – ٢٧]، والمغفرة صفة فعلية ، وكذلك تعتبر صفة ذاتية ، كون الله لم يزل متصفًا بالمغفرة والرحمة ، ثابتة بالكتاب والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[طه : ٨٢]، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل : " أذنب عبدٌ ذنبًا ، فقال : ربي اغفري لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي ربي اغفر لي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي ربي اغفر لي ، فقال تبارك وتعالى :

---

١ – الجامع لمباحث الأسماء والصفات ، د.عيسى السعدي (١٧٨)

٢ – انظر : فتح البرية بتلخيص الحموية ، ابن عثيمين (٣٩)

٣ – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٣ – ٤٨٤)

أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، اعمل ما شئت فقد غفرت لك "[1]، قال الشيخ السعدي رحمه الله : " وصفة المغفرة والرحمة ، وصفان لازمان ذاتيان ، لا تنفك ذاته عنهما ، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود ، مالئة للموجود ، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار ، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهر ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والرحمة سبقت الغضب وغلبته "[2] ، فمؤمن آل ياسين رضي الله عنه ورحمه : " لما دخل الجنة وشاهدها بعد قتل قومه له وإكرام الله له بها ، قال : ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي ﴾ ، يا : في مثل هذا المقام لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه ، أي : انتبه أيها المخاطب ، أتمنى أن قومي ﴿ يَعۡلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ ، وما ، إما موصولة والباء صلة يعلمون أي : أتمنى علم قومي بالأمر الذي بسببه غفر ربي لي ذنوبي ، وهو الإيمان به والطاعة ، أو مصدرية ، والباء صلة العلم أيضا ، أي : أتمنى عِلْم قومي بغفران ربي لذنوبي ، أو استفهامية وردت على الأصل ، أي : أتمنى علم قومي بأي شئ غفر لي ربي ذنوبي ، يريد تفخيم شأن المهاجرة عن مِلَتِهم ، والمصابرة على أذيتهم لإعزاز الدين حتى قُتل "[3]

٣- **المشيئة** : فإهلاك قوم مؤمن آل ياسن الكفرة كان بمشيئة الله وإرادته التامة ؛ وذلك لأن مشيئة الله تعالى هي أصل جميع الصفات الاختيارية من الأفعال والكلمات والأحوال والإرادات والعلوم والإدراكات، والإغراق، والخسف، والصيحة، ونحوها، وصفات الأفعال، كسائر الصفات الاختيارية لا تكون إلا بمجموع أمرين : المشيئة، والقوة والقدرة [4] ، ومشيئة الله تعالى هي إرادته الكونية ، وهي نافذة فيما يحبه وما لايحبه ، ونافذة على جميع العباد بدون تفصيل ، ولا بد من وجود ما شاءه بكل حال ، فكل ما شاء الله وقع – ولا بد – سواء كان فيما يحبه ويرضاه أم لا [5]، وهي من صفاته الفعلية الاختيارية اللائقة به ، فنثبتها لله عز وجل على الوجه اللائق به من

---

[1]- صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، حديث رقم : (٧٥٠٥)

[2] – تيسير الكريم الرحمن ، السعدي (٧٢٧)

[3] – انظر : تفسير حدائق الروح والريحان ، محمد الأمين (٢٣ / ٥٠٤ – ٥٠٥)

[4] – انظر : دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (١٥٣– ١٥٤)

[5] – شرح العقيدة الواسطية ، ابن عثيمين (١٥٨)

غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وفق قوله جل وعلا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى : ١١]

٤- **القدرة** : فإهلاك قوم مؤمن آل ياسين الكفرة بالصيحة الواحدة كان بقدرة الله تعالى وقوته التامة ، وذلك لأن صفات الأفعال كالإهلاك ، والبطش ، والصيحة ، كسائر الصفات الاختيارية لا تكون إلا باجتماع أمرين : هما المشيئة والقدرة كما سبق ، والقدرة صفةٌ لله عز وجل ، تدل على أنه – سبحانه –كامل القدرة فبقدرته أهلك أهل هذه القرية بصيحة واحدة ، بصوت عال ، خلع به قلوبهم ،﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٩] أي : موتى لاطئون بالأرض[١]، وفي التعبير عن موتهم بالخمود دليل على أن الصيحة أحرقتهم حتى صاروا رماداً، وصاروا صرعى عن بكرة أبيهم ، وكانوا أحقر وأهون على الله من أن يُنزل عليهم ملائكة لإهلاكهم ، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٨ – ٢٩] " ولكمال قدرة الله – جل وعلا –كل شيء طوع أمره وتحت تدبيره ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وللإيمان بهذا الاسم ثمار جليلة وآثار مباركة على العبد، منها: أنه يقوي في المؤمن الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه ، وتمام الالتجاء إليه ، ومن آثاره الطيبة تكميل الصبر وحسن الرضا بالله ؛ لأن كل شيء بقدرته وتحت تصرفه سبحانه ، ومن آثاره المباركة سلامة الإنسان من أمراض القلوب ، كالحقد والحسد ونحوهما ، وكذلك تقوية عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه ، والبعد عن الشر والهرب منه ؛ لإيمانه أن الأمور كلها بتقدير الله – عز وجل –، وتحت قدرته ومشيئته"[٢]، قال الثعالبي رحمه الله في تفيسر قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ، هذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيها توعد لقريش وتحذير أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بقوم حبيب النجار ، قال مجاهد : لم يُنزل الله عليهم من جند، أراد أنه لم يرسل إليهم رسولا ولا استعتبهم ، قال قتادة رحمه الله : والله، ما عاتب الله قومه بعد قتله حتى

---

١ – انظر: المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٥٢)

٢ – فقه الأسماء الحسنى ، البدر (٢٦٣ – ٢٦٤)

أهلكهم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : أراد : لم يحتج في تعذيبهم إلى جند ، بل كانت صيحة واحدة لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك "[1].

٥- **العلم** : فهذه الصفة قرينة القدرة ، وذلك أن إهلاك قوم مؤمن آل ياسين الكفرة بالصيحة الواحدة التي جعلتهم خامدين ، لم يقع إلا بعلم تام باستحقاقهم لها ، وقدرة كاملة على إيقاعه بهم في الوقت المناسب والحال المناسب ، ومعنى اتصاف الله بصفة العلم : أي الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان ، وبالعالم العلوي والسفلي ، و بالماضي والحاضر والمستقبل ، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء ، علم ما كان وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصى كل شيء عددًا [2]، وللإيمان بهذه الصفة العظيمة آثار مباركة على العبد ، منها مراقبة الله تعالى ، والانزجار عن المحرمات والمعاصي ؛ لمعرفة كمال علمه واحاطته بكل شئ ، قال الشيخ محمد الشنقيطي رحمه الله عن صفة الله العِلم : " أجمع العلماء على أن الإيمان بها أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السماء إلى الأرض "[3] .

٦- **الغضب** : وذلك لأن قوم مؤمن آل ياسين لما قتلوه شر قتلة ، غضب الله عز وجل له وبادرهم بالعقوبة ، وإهلاكهم بصيحة واحدة لم تُبق لهم باقية ، وصفة الغضب صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بأدلة الكتاب والسنة، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور : ٩]، وقال صلى الله عليه وسلم : "يقول الله عز وجل : إن رحمتي سبقت غضبي "[4] ، نثبتها لله عز وجل على الوجه الذي يليق بجلاله وعظمته ، من غير تكييف ولا تحريف لا تعطيل ولا تشبيه ، فالله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله (٧٩٢هـ) في شرح الطحاوية : " مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا ، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة " [5]، وقد ذكر الإمام الطبري

---

[1] – تفسير الثعالبي (٥ / ١١)

[2] – فقه الأسماء الحسنى ، البدر (١٦٥)

[3] – العذب المنير ، الشنقيطي (١ / ٣٣٣)

[4] – صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ما جاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، حديث رقم : (٣١٩٤)

[5] – شرح الطحاوية ، ابن أبي العز (٤٦٣)

رحمه الله : " أن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : غضب الله له – يعني مؤمن آل ياسين – لاستضعافهم إياه ، غضبةً لم يُبق من القوم شيئًا بما استحلوا منه " [١] وقال القرطبي رحمه الله : " فلما قُتل حبيبٌ غضب الله له ، وعجّل النقمة على قومه ، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم ، فذلك قوله :﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ، أي : ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله "[٢] ، و قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره هذه الآية أيضا : " يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبًا منه تعالى عليهم ؛ لأنهم كذبوا رسله ، وقتلوا وليَّه "[٣] .

ثالثاً : إبطال الشرك :

الشرك في اللغة : هو الاشتراك في أمر بين اثنين أو أكثر ، وتشارك الرجلان واشتركا، وشارك أحدهما الآخر، يقال : شاركت فلاناً في الشئ إذا صرت شريكه ، وأشركت فلاناً ، إذا جلعته شريكاً لك ، والشركة : مخالطة الشريكين ، وطريق مشترك يستوي فيه الناس ، وأشرك بالله : جعل له شريكاً في ملكه تعالى عن ذلك[٤] .

معنى الشرك في الشرع : تنوعت عبارات العلماء – رحمهم الله – في بيان حقيقة الشرك في الشرع فقيل : هو صرف حق من حقوق الله لغيره[٥] ، وعرفه الشيخ السعدي رحمه الله بقوله : " وحقيقة الشرك بالله : أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله أو يُعظّم كما يعظم الله أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية "[٦] ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأصل الشرك أن تعْدل بالله تعالى مخلوقاتِه في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور

---

١ – تفسير الطبري (١٩ / ٤٢٧)

٢ – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ /

٣ – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٦)

٤ – انظر :معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣ / ٢٦٥) ، تهذيب اللغة ، الأزهري (١٠ / ١٢) ، لسان العرب ، ابن منظور (١٠ / ٤٨٨) ، تاج العروس ، الزبيدي (٢٧ / ٢٢٣)

٥ – أضواء البيان ،الشنقيطي (٣ / ٦١٤)

٦ – تيسير الكريم الرحمن ، السعدي (١/ ٢٧٩) ، وانظر المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (٤٥٢)

، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به "[١] ، وقال ابن القيم رحمه الله : " حقيقة الشرك : هو التشبيه بالخالق ، والتشبيه للمخلوق به "[٢] و قد عرّفه النبي صلى الله عليه وسلم بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خالقك " [٣] ، والند هو المثل والشبه[٤] ، فكل من أشرك بالله في الربوبية أو الألوهية أو في أسمائه وصفاته ، فقد جعل لله ندا ومثيلا ونظيرا[٥] ، ومن صرف شيئا من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركًا يبطل التوحيد وينافيه، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الشرك ، وسد كل الطرق التي تفضي إليه ؛ لأن للشرك آثارًا خطيرة ، ومفاسدَ جسيمة ، وأضرارًا مُهلكة ، ومنها شر الدنيا والآخرة ، وهو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة ، ويُسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة ، ويحصل لصاحب الشرك الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦] ، ثم إن الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨] ، والشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، ويُوجب الله لصاحبه النار ، ويحرم عليه الجنة ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار "[٦] ، ويُخلِّد صاحبَه في النار[٧]

---

١ – الاستقامة ، ابن تيمية (١ / ٣٤٤) .

٢ – الداء والدواء ، ابن القيم (١ / ٣١٣)

٣ – صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى " فلا تجعلوا لله أندادا" حديث رقم : (٤٤٧٧)

٤ – انظر : القول المفيد ، ابن عثيمين (١ / ١٢١ – ١٢٢)

٥ – انظر : دراسات في علم العقيدة ، القفاري (٢ / ٧٦)

٦ – صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار ، حديث رقم : (٩٣)

٧ – انظر : القول المفيد ، ابن عثيمين (١١٤ – ١١٦)

، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٦] .

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على إبطال الشرك :

لقد اشتملت هذه القصة الخالدة على إبطال الشرك ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ٢٣ – ٢٤]، يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في بيان معنى هذه الآية الكريمة : "﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ، استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، أي : هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئا ، فإن الله لو أرادني بسوء (فلا كاشف له إلا هو) وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ، ولا ينقذونني مما أنا فيه ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أي : إن اتخذتها آلهة من دون الله "[1]، ويقول الشوكاني – رحمه الله – مشيرًا إلى سبب كون مؤمن آل ياسين جعل الإنكار متوجهًا إلى نفسه في الآية : "﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ، فجعل الإنكار متوجها إلى نفسه ، وهم المرادون به ، أي أأتخذ من دون الله آلهة وأعبدها ، وأترك عبادة من يستحق العبادة وهو الذي فطرني ، ثم بين حال هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله – سبحانه – إنكارًا عليهم ، وبيانًا لضلال عقولهم وقصور إدراكهم فقال : ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ ، أي : شيئا من النفع كائناً ما كان ﴿ وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، من ذلك الضر الذي أرادني الرحمن به ، ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أي : إني إذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين واضح ، وهذا تعريض بهم ، والضلال، الخسران "[2]، ويذكر الطاهر بن عاشور – رحمه الله – معنى الاتخاذ في قوله تعالى : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ، بقوله : " والاتخاذ : افتعال من الأخذ وهو التناول ، والتناول يشعر بتحصيل ما لم يكن قبل ، فالاتخاذ مُشعر بأنه صُنع، وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين أنهم جعلوا الأوثان آلهة –

---

[1] – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤)

[2] – انظر : فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨١ – ٤٨٢)

وليست بآلهة – لأن الإله الحق لا يُجعل جعلاً ، ولكنه مستحق الإلهية بالذات ، ووصف الآلهة المزعومة المفروضة الاتخاذ بجملة الشرط بقوله : ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، والمقصود : التعريض بالمخاطبين في اتخاذهم تلك الآلهة بعلة أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى ، وقد علم من انتفاء دفعهم الضر أنهم عاجزون عن جلب النفع لأن دواعي الضر عن المولى أقوى وأهم ، ولحاق العار بالولي في عجزه عنه أشد "[1]، فتبين لنا من خلال هذه القصة الخالدة أن الواقع في الشرك في ضلال مبين، بل في سفه كبير ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة :١٣٠] ، فمن عبد غير الله أو أشرك معه معبودًا غيره من نبي أو ولي أو حجر أو صنم أوغير ذلك – فهو ضال منحرف بعيد كل البعد عن الحق والصواب ، وقد بينت قصة مؤمن آل ياسين ذلك أيما بيان، وحذرت منه بأفصح لسان .

المطلب الثاني : إثبات الإيمان بالرسل :

لقد جاء مؤمن آل ياسين من أقصى المدينة يسعى ليدعو قومه ويحثهم على الإيمان بالرسل وتصديقهم ، ويبين لهم جليل صفاتهم وعظيم أخلاقهم ، وفضل ما يدعون إليه وكمال ما أرسلهم الله به من الحق الواضح والحجة القائمة والبرهان الصحيح القائم على عبادة الله وحده وتوحيده وترك عبادة ماسواه ، وسنتحدث في هذا المطلب عن تعريف الرسل ، ومعنى الإيمان بهم ، وحاجة البشر إليهم ، ودلالة قصة مؤمن آل ياسين على الإيمان بهم .

الرسل في اللغة : جمع رسول ، والرسول مشتق من الإرسال قال ابن منظور رحمه الله : " الإرسال : التوجيه وقد أرسل إليه ، والاسم الرسالة ، والرسول "[2]، ووجه التسمية : أن الرسول مرسل من عند الله عز وجل[3]، والرسول اصطلاحًا : من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه[4] أو من بُعث لقوم كافرين[5] ، و الإيمان بالرسل عليهم

---

١ – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٨ – ٣٦٩)

٢ – لسان العرب ، ابن منظور (٣ / ١٦٤٤)

٣ – دراسات في علم العقيدة ، القفاري (٣ / ٧٢ – ٧٣)

٤ – شرح الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (١ / ١٥٥)

٥ – انظر : النبوات ، ابن تيمية (٢ / ٧١٧ – ٧٢١) ، دراسات في علم العقيدة ، القفاري (٣ / ٧٣ – ٧٥)

السلام من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، فهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه ، في إبلاغ وحيه للناس ، وتحقيق توحيده ، وإقامة شرعه ، ودعوةٌ من الرحمن الرحيم – تبارك وتعالى– لخلقه ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عباده ، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم[١] ، فيجب الإيمان بهم جميعًا ، وعدم التفريق بين أحد منهم ، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، ومعنى الآية : أن المسلمين من خصائصهم أنهم يؤمنون بجميع الرسل ، ولا يكفرون بأحد منهم ، ولا يفرقون بينهم في الإيمان ، خلافًا لليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعضهم[٢] ، وكذلك يجب الإيمان بمن علِمْنا اسمه منهم باسمه ، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالًا ، وتصديقُ ما صح من أخبارهم مما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والعملُ بشريعة من أُرسل إلينا منهم وهو خاتَمُهم وسيدهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[٣] ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة ..، والعبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة وبيناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات قال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل ، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نورًا يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات ، وسمى الله تعالى رسالته روحًا ، والروح إذا عُدم فُقدت الحياة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]"[٤]، فالرسل عليهم السلام هم الواسطة بين الله

---

١ – انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٩ / ٩٥)، زاد المعاد ، ابن القيم (١ / ٦٨) ، مفتاح دار السعادة ، ابن القيم (٢ / ٨٦٣)

٢ – انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٣ / ٤٢٥)

٣ – انظر : نبذة في العقيدة الاسلامية ، ابن عثيمين (٤٢ – ٤٣)

٤ – مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٩ / ٩٣ – ٩٤)

وخلقه في تبليغ شرعه ونشر هدايته للبشر ، فالإيمان بهم والسير على منوالهم وخاصة خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على إثبات الإيمان بالرسل :

لقد اشتملت هذه القصة الكريمة على إثبات الإيمان بالرسل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس : ٢٠ – ٢١]، فالله جل وعلا أرسل لأهل قرية مؤمن آل ياسين ثلاثة رسل ليدعوَهم إلى توحيد الله ، ونبذ الشرك، ومظاهر العبودية لغير الله ، فكذبوهم وهمّوا بقتلهم ،فجاء هذا المؤمن الصادق ليدعوَ قومهم للإيمان بهم ، والحذر من تكذيبهم وقتلهم ، وقد ذكر قتادة وابن جريج أن رسلهم كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى – عليه السلام – دعاة إلى الله في الآفاق ، وإنما أضافهم الرب لنفسه ؛ لأن عيسى أرسلهم بأمر الله تعالى[1]، وفي هذا التعيين نظر من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء الرسل كانوا رسل الله عز وجل ، وليسوا من قبل المسيح عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾ ، [يس : ١٤ – ١٧] ، فلو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام ، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : ﴿ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[2]

الوجه الثاني : أن المعروف أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح عن آخرهم ، ولهذا كانت أنطاكية إحدى المدن الأربع التي فيها بطاركة النصارى [3] ، ولم يُعرف عن هذه المدينة أنها أُهلكت بعامة، لا في الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك[4] ؛ ولهذا قال

---

[1] – انظر : زاد المسير ، ابن الجوزي (٧ / ١١) ، المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤ / ٤٤٩) ، الجامع لأحكام القران ، القرطبي (١٧ / ٤٢٦ – ٤٢٧)

[2] – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٧)

[3] – انظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٩)

[4] – دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٨)

الحافظ ابن حجر رحمه الله :" لعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة ، لأن الله أخبر أنه أهلك أهلها ، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن "[١] ، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " على هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف .. ، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظًا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة ، فإن هذه لم يعرف أنها أُهلكت لا في الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك[٢].

الوجه الثالث : أن بعْث الحواريين لأنطاكية كان بعد إنزال التوراة بمدة طويلة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف أن الله لم يُهلك أمة بعامة بعد إنزال التوراة ، وعلى هذا فإن إهلاك أصحاب القرية كان قبل عيسى عليه السلام بمدة ، وقد تفطن لذلك الإمام البخاري رضي الله عنه ، وبوَّب لخبرهم قبل خبر المسيح [٣] ، قال الحافظ ابن كثير– رحمه الله – في بيان ما دار بين مؤمن آل ياسين وقومه وتقريره وجوب الإيمان بالرسل : "﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ، يحض قومه على اتِّباع الرسل الذين أتوهم ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾ ، أي : على إبلاغ الرسالة ، ﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾، فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له "[٤]، ويشير صاحب البحر المحيط إلى حجة مؤمن آل ياسين على قومه بقوله : "﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾، أي : وهم على هدى من الله ، أمرهم أولًا باتباع المرسلين ، أي : هم رسل الله إليكم فاتبعوهم ، ثم أمرهم ثانيًا بجملة جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقص منهم من حطام دنياهم شيء ، وفي كونهم يهتدون بهداهم فيكسبون خيري الدنيا والآخرة "[٥] ، ويذكر الطاهر بن عاشور رحمه الله أهم صفات الرسل التي بينها مؤمن آل ياسين في سياق حثِّه لقومه للإيمان بهم فيقول : " وجملة : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾، مؤكدة لجملة : ﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ،

---

١ – فتح الباري ، ابن حجر (٦ / ٤٦٧)

٢ – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٩– ٥٧٠)

٣ – دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٤٨) ، وانظر: فتح الباري ، ابن حجر : (٦ / ٤٦٧) ، البداية والنهاية ، ابن كثير (١ / ٢٢٧) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٥٦٩ – ٥٧٠)

٤ – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤)

٥ – انظر : البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٥)

مع زيادة الإيماء إلى علة اتباعهم بلوائح علامات الصدق والنصح على رسالتهم إذ هم يدعون إلى هُدى ولا نفع ينجر لهم من ذلك ، فتمحضّت دعوتهم لقصد هداية المرسَل إليهم ، وهذه كلمة جامعة ، أي : اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم وتربحون صحة دينكم ، وبعد ذلك تهيّأ الموقع لجملة : ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، أي : وهم متصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية ، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سيرتهم ، فإذا كانوا هم مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى ، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما يدعون إليه وترغيبًا في متابعتهم " [1]، وفي إهلاك قوم مؤمن آل ياسين بالصيحة العظيمة التي جعلتهم خامدين لا حركة لهم ولاحياة ، بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم ، وحصول العاقبة له بدخول الجنة ، أعظم دليل على صدق الرسل عليهم السلام، وتقرير الإيمان بهم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم من النجاة وحسن العاقبة ، وما فعله بمكذبيهم من الهلاك وسوء العاقبة يفيد العلم بصدقهم ، والرغبة في اتباعهم ، و الرهبة من مخالفتهم ؛ ولهذا كان أكمل وأبلغ في حصول المقصود"[2]، وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لهذه القصة في القرآن الكريم دلالة قاطعة على صدق نبوته خاصة ، فإن هذه القصة من أمور الغيب التي لم يكن كفار قريش يعرفونها ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] ، فذكر قصص الأمم السابقة وما حصل لهم مع أنبيائهم من دلالات صدقه صلى الله عليه وسلم ، وحجة بالغة على نبوته ، وأنه رسول رب العالمين ، وأن القرآن منزل من عند الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء[3] ، كما أن في عدم إنزال ملائكة من السماء لإهلاك قوم مؤمن آل ياسين دلالة على حقارة شأنهم ، وتفضيلًا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتكريمًا له على سائر الأنبياء، بإنزال الملائكة لنصرته وتأييده على أعدائه كما حصل في غزوة بدر والخندق ، يقول

---

[1] – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٧)

[2] – انظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية (٦ / ٤٢٦– ٤٢٧) ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (١٧/ ١١٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٢٤٤– ٣٧٣– ٤٦٣)

[3] – انظر : دور القصص القرآني في بناء العقيدة ، محمد عبدالحكيم (٢٠٤)

الزمخشري مبينًا ذلك : " فإن قلت : فلِمَ أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق ، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب : ٩] ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال : ٩] ﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٤] ﴿ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ؟ قلت : إنما كان يكفي ملك واحد ، فقد أُهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل عليه السلام ، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ، ولكن الله فضل محمّدًا صلى الله عليه وسلم بكل شئ حتى على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل ، فضلًا عن حبيب النجار ، وأوْلاه من أسباب الكرامة والإعزاز مالم يُولِه أحدًا ، فمن ذلك أنه أنزل له جنودًا من السماء ، وكأنه أشار بقوله : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا ﴾﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ، إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك ، وما كنا نفعله بغيرك "[1]، فيتضح لنا اشتمال هذه القصة الخالدة على تقرير الإيمان بالرسل وبيان صدقهم وجليل صفاتهم ، كما تشير كذلك إلى صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بها ، وعظيم فضله وعلو مكانته لاختصاصه بإنزال الملائكة للمقاتلة معه وتأييده خلافًا لغيره من الرسل عليهم السلام فضلًا عن اتباعهم .

المطلب الثالث : إثبات اليوم الآخر :

لقد أخبر الله – عز وجل – في معرض الحديث عن قصة مؤمن آل ياسين أنه بشّره بدخول الجنة فور قتلهم له ، وأنه تمنى معرفة قومه لذلك محبةً للخير لهم ودلالةً على عِظم شأن الإيمان بالله ورسله عليهم السلام ، وأن العاقبة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، وفي هذا تقرير واضح للإيمان باليوم الآخر ، فالإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان المسلم إلا بها ، وله أثر عظيم في حياة المسلم، وطاعته لأوامر الله – عزو جل – واجتناب نواهيه، وفي الإيمان به صلاح الناس واستقامة قلوبهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد اشتملت هذه القصة الكريمة على الدلالة عليه وتقريره ، وسيتم الحديث في هذا المطلب عن تعريف اليوم الآخر ومعنى الإيمان به ، وحكمه وأدلته ، ودلالة القصة عليه ، فاليوم الآخر لغة : قال في بيانه ابن فارس رحمه الله (٣٩٥هـ) : (آخر) هو خلاف التقدم، وقال الخليل: "فعل

[1] – الكشاف ، الزمخشري (٥ / ١٧٣ – ١٧٤)

الله بالآخر أي بالأبعد، وابن دريد رحمه الله يقول: الآخر تالٍ للأول"[١]، وقال ابن منظور رحمه الله : " الآخر والآخرة نقيض المتقدم والمتقدمة، والمستأخر نقيض المستقدم "[٢] ، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله : "آخر يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد"[٣] ، واليوم الآخر شرعًا هو : ما يحصل للإنسان من ساعة الاحتضار إلى دخول الجنة أو النار، فمن مات فقد قامت قيامته، ودخل في حكم الآخرة[٤] ، فاليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يُبعث فيه الناس للحساب والجزاء ، وسُمِّي بذلك: لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم[٥]، ومعنى الإيمان به : التصديق الجازم بإتيانه، وبجميع تفاصيله، والعمل بموجب ذلك ، فالإيمان باليوم الآخر يشمل كل ما ورد في أخبار ذلك اليوم، وما يتعلق به، فيدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وبالنفخ بالصور، وخروج الخلائق من القبور، وبالجزاء، والحساب، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل الحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط، والقنطرة، والحوض، والشفاعة، وغيرها، وبالجنة ونعيمها، الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجب أهلها عن ربهم عز وجل[٦]، ثم إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة ، التي يتوقف الإيمان على الإقرار بها وتصديقها ، كما قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[البقرة : ١٧٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان قال : " الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،

---

١ – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٧٠)

٢ – لسان العرب، ابن منظور – (٢٣/٤ – ١٣ – ١٤).

٣ – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٦٨).

٤ – اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، المطيري (٣٤ – ٣٩).

٥ – نبذة في العقيدة الإسلامية ، ابن عثيمين (٢٩).

٦ – أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي (٦٥).

ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "[١] ، وقد اتفقت عليه أدلة الكتاب والسنة والعقل والفطرة، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : " الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة السلمية ، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ، ورد على المنكرين في غالب سور القرآن "[٢].

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على اليوم الآخر:

لقد اشتملت هذه القصة الكريمة على إثبات اليوم الآخر ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦ – ٢٧] ، فهذه الآية الكريمة دلت على حياة البرزخ ، وذلك أن هذا الرجل المؤمن الصالح لما قام بأمر الله بالدعوة إلى التوحيد والدفاع عن الرسل – عليهم السلام– ابتغاء مرضاة الله ، وقَتَله قومُه ، بشره الله بالجنة ، وقيل له بمجرد موته : ﴿ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾ ، فقال: ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ ، فهي دليل على أنه منعم في قبره ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهداء : " أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شيئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأي أن ليس لهم حاجة تُركوا"[٣] ، وهكذا أرواح عموم المؤمنين في نعيم ، أما أرواح الشهداء ، فإنها في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة ، وتأوى إلى قناديل معلقة في العرش ، وتأكل من ثمار الجنة ، وتَرِد أنهارها ، كما في الحديث السابق ، وهذا النعيم كله قبل القيامة ، وقبل دخول الجنة ونعيمها، ومذهب أهل السنة

---

[١] – صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم : (٥٠)

[٢] – شرح العقيدة الطحاوية ،ابن أبي العز الحنفي (٤٠١)

[٣] – صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، حديث رقم : (١٨٨٧)

والجماعة قائم على إثبات نعيم القبر وعذابه[١] ، وهو المعبر عنه بالحياة البرزخية ، فالميت في قبره إما أن ينعم أو يعذب ، والبرزخ في اللغة : الحاجز بين الشيئين ، والمراد بحياة البرزخ : ما بين الموت إلى القيامة[٢] ، فإن ما بين الموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا ، وبين البعث الذي تبدأ به الحياة الأخرى – مدة جاءت تسميتها في القرآن بالبرزخ ، لأنها حاجز بين الدنيا والآخرة [٣] ، كما قال تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠] ، قال مجاهد رحمه الله في تفسير قوله تعالى : " ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ ، : ما بين الموت إلى البعث " [٤]وقد تواترت على إثبات حياة البرزخ أدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف، قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] ، أي يعذبون في قبورهم صباحاً ومساءً ، ويوم القيامة لهم أشد العذاب[٥] ، وجاء في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين ، فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما : فكان لا يستتر من بوله ، وأما الآخر : فكان يمشي بالنميمة، فأخذ جريدة رطبة ، فشقها نصفين ، فغرز في كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[٦] ، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية : " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، لمن كان لذلك أهلًا ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار "[٧].

---

١ – انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (٢ / ٩٨٦) ، شرح صحيح مسلم ، النووي (١٧ / ٢٠١) ، وفتح الباري ، ابن حجر (٣ / ٢٤٣)

٢ – انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٤ / ٢٦٢)

٣ – دراسات في علم العقيدة ، القفاري (٣ / ٢٤٤)

٤ – تفسير الطبري (١٧ / ١١٠)

٥ – انظر : البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٤٤٨)

٦ – صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله حديث رقم : (٢١٤)

٧ – شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (٢ / ٥٧٨)

وقد أشار الشوكاني – رحمه الله – إلى هذه الدلالة عند بيان معنى قوله تعالى : " ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾،أي : قيل له ذلك تكريمًا بدخولها بعد قتله كما هي سنة الله في شهداء عباده ، فلما دخلها وشاهدها ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ ، وفي معنى تمنيه قولان : أحدهما : أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته إرغامًا لهم ، وثانيهما : أنه تمنى أن يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل إيمانه ، فيصيروا إلى مثل حاله "[١]، وفي قوله تعالى : ﴿ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ ، حكاية عن مؤمن آل ياسين ، نفيٌ للشفاعة عن آلهة المشركين عند الله يوم القيامة ، والشفاعة لغةً :" الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه ، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ، ومنه الشفاعة يوم القيامة "[٢]، واصطلاحا : "التوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة "[٣]، وهي تنقسم إلى قسمين : شفاعة مثبتة وشفاعة منفية ، فالشفاعة المثبتة هي الشفاعة الشرعية المقبولة التي تُطلب من الله وحده ، ولها ثلاثة شروط : رضا الله عن الشافع ، وإذنه له ، ورضاه عن المشفوع له ، قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[النجم : ٢٦]، و الشفاعة المنفية هي : الشفاعة الشركية الباطلة التي تُطلب من غير الله جل وعلا ، وهي : ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله ، وهي شفاعة غير مقبولة عند الله ، وتسميتها شفاعة من باب التنزل ، فهم يقولون كما حكى الله عنهم : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس : ١٨]، وإلا فهي في الحقيقة شرك[٤]، قال صاحب البحر المحيط في بيان معنى الآية الكريمة : (﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ ، أي : آلهة قاصرة عن كل شئ لا تنفع ولا تضر ، فإن أرادكم الله بضر وشفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ، ولم

---

١ – انظر : فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٢)

٢ – المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (٤٥٧ – ٤٥٨)

٣ – القول المفيد على كتاب التوحيد ، ابن عثيمين (١ / ٣٣٠)

٤ – انظر : دراسات في علم العقيدة ، القفاري (٣ / ٣٧٩ – ٣٨١) ، شرح السفارينية (٤٨٧)

يقدروا على إنقاذكم فيه أولًا : بانتفاء الجاه عن كون شفاعتهم لا تنفع ، ثم ثانيًا : بانتفاء القدرة فعبر بانتفاء الإنقاذ عنه إذ هو نتيجة "[1].

وفي قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾ ، دليل على إثبات الجنة وهي : دار النعيم التي أعدها الله لعبادة المتقين وفيها من أنواع النعيم ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر[2] ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وأجمع السلف على أنها مخلوقة ، ومُعدَّة لأهلها ، و موجودة الآن ، لا تفنى ولا تبيد ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ [النساء : ٥٧] ، يقول ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : " اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن "[3] ، وكذلك مما جاء في قصة مؤمن آل ياسين مشيرًا إلى إثبات اليوم الآخر، قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس : ٢٢] ، فقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، فيه إثبات للرجوع إلى الله عز وجل وتقريرٌ للمعاد ، يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – مبينًا ذلك عند تفسيره لهذه الآية : " أي : يوم المعاد ، فيجازيكم على أعمالكم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر "[4]، ويقول الإمام القرطبي – رحمه الله – مبينا سبب إضافة مؤمن آل ياسين الفطرة إلى نفسه في قوله : (الذي فطرني) وإضافة الرجوع إليهم في قوله : (وإليه ترجعون) : " وهذا احتجاج منه عليهم، وأضاف الفطرة إلى نفسه ؛ لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم ؛ لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكرًا ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثرًا "[5] أي : أبْلغُ في الإنكار عليهم ، والحث لهم على الإيمان بالله تعالى، واتباع الرسل ، فيتضح لنا من خلال هذا القصة الكريمة تقرير المعاد بما في ذلك من إثبات حياة البرزخ ، ونفي الشفاعة عن آلهة المشركين يوم القيامة ،

---

[1] – البحر المحيط ، أبو حيان (٧ / ٣١٥)

[2] – نبذة في العقيدة الإسلامية ، ابن عثيمين (٤٩ – ٥٠)

[3] – شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (٢ / ٦١٤)

[4] – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١١ / ٣٥٤)

[5] – الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٧ / ٤٣٠)

وإثبات الجنة دار النعيم ، وتأكيد مؤمن آل ياسين – رحمه الله ورضي عنه– لقومه رجوعهم إلى الله يوم القيامة ومجازاتهم على أعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر .

المطلب الرابع : تقرير القدر :

الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان العظام وأحد مباني الدين الجسام ، قال الله جل وعلا : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، و قال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام السابق لما سأله عن الإيمان : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت"[١]، والقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر ؛ نقض تكذيبه توحيده ، كما قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، ثم إن الإيمان بالقدر يورث حلاوة الإيمان فلن يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر، فعن الوليد بن عبادة ، قال : "دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي ، فقال : يابني ، إنك لن تطعم طعم الإيمان ، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : قلت : يا أبتاه ، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر من شره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك"[٣]، و القدر في اللغة : مصدر قدر يقدر قدرًا، وقدرت الشيء ، أي: أحطت بمقداره، وأصله يدل على مبلغ الشيء ، يقال: قدره كذا ، أي : مبلغه ، وقدر الشيء بالشيء ، أي : قاسه به وجعله على مقداره ، وتقدير الله للأشياء بمعنى إعطاء القدرة ، أو بمعنى الإحاطة بمقادير الأشياء ، وقد يفسر بمعنى القضاء ، أي: الإنفاذ والإمضاء والفصل [٤]، ولهذا إذا أُفرد القدر عم التقدير العلمي والفعلي ، وإذا قرن بالقضاء اختص بالتقدير العلمي ، فيكون القدر بمعنى العلم السابق والكتابة الأولى ، والقضاء بمعنى إيجاد

---

١ – صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، حديث رقم : (٥٠)

٢ – أخرجه الآجري في الشريعة (٢ / ٨٧٥) ، وابن بطة في الإبانة (٤ / ١٥٨)

٣ – أخرجه الامام أحمد في المسند (٣٧ / ٣٧٨) ، وقال محققوه : " إسناده حسن "

٤ – انظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٥ / ٦٢– ٦٣– ٩٩ – ١٠٠) ، المفردات ، الراغب الأصفهاني (٣٩٥ – ٤٠٦) ، أساس البلاغة ، الزمخشري (٣٥٧) ، النهاية ، ابن الأثير (٤ / ٢٢ – ٧٨) ، مختار الصحاح ، الرازي (٥٤٠ – ٥٤١) ، المصباح المنير ، الفيومي (٤٩٢ – ٥٠٦ – ٥٠٧) ، القاموس المحيط ،الفيروزآبادي (٢ / ١١٨ – ١١٩ ، (٤ / ٣٨١) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٢١٣)

المقدور وفق التقدير السابق ، أي : الحكم الكوني بتحقق القدر ، وإنفاذ ما في الكتب الأولى [١] ، والقدر شرعًا : هو تقدير الله عز وجل الأشياء في القدم ، وعلمه – سبحانه –أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة ، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته لها ، ووقوعها على حسب ما قدرها جل وعلا وخلقه لها[٢] ، قال الإمام النووي رحمه الله (٦٧٦هـ) القدر : " معناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعَلِم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ، وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى " [٣]، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله " القدر : هو علمه الأشياء قبل كونها ، وكتابته لها قبل برئها "[٤] ، ويدور الإيمان بالقدر على أربع مراتب ، تُسمى مراتب الإيمان بالقدر وهي : العلم، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق ، وصفة الإيمان بهذه المراتب الجليلة على درجتين : الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم أعمال العباد ، وأحوالهم ، ومآلهم قبل خلقهم ، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه ، وأن أعمال العباد تجري على مواقع القدر ، أي : موافقة ومطابقة لما سبق في علم الله وكتابه[٥]، الثانية : الإيمان بعموم مشيئة الله تعالى وخلقه ، وأن كل ما يعمله العباد من طاعة ومعصية ، وكل ما يصيبهم من خير وشر واقعان بمشيئة الله وخلقه[٦] ، وهذه المراتب جاءت الأدلة عليها صريحة في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فالعلم والكتابة دل عليهما قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾،[الحج : ٧٠] ، ومرتبة المشيئة دل عليها قول الله سبحانه : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ،[التكوير : ٢٨ – ٢٩

١- دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٢١٣) وانظر: المفردات ، الراغب الأصفهاني (٤٠٧) ، النهاية ، ابن الأثير (٤ / ٧٨) ، الدرر السنية لأئمة الدعوة ، ابن قاسم (١ / ٢٥٥)

٢ – شفاء العليل ، ابن القيم (٢٩)

٣ – شرح مسلم ، النووي (١ / ١٥٤)

٤ – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧ / ٤٨٢)

٥ – انظر :كتاب القدر ، الفريابي (٤٢) ، دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٢١٦)

٦ – دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٢١٦) ، وانظر :كتاب القدر ، الفريابي (٢١٧ – ٢٠٢ – ١٤٦) ، مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٣ / ١٤٨ – ١٥١) ، جامع العلوم والحكم ، ابن رجب (٢٤)

]، ومرتبة الخلق قال الله عز وجل مقررًا لها فيما يتعلق بفعله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾،[الزمر : ٦٢]، وفيما يتعلق بخلق أفعال عباده قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾،[الصافات: ٩٦]، فيجب على المسلم الإيمان بالقدر خيره وشره ، واليقين الجازم بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

دلالة قصة مؤمن آل ياسين على تقرير القدر:

لقد اشتملت هذه القصة الخالدة على تقرير القدر وذلك في قوله جل وعلا : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [يس : ٢١] ، وقوله سبحانه : ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ٢٤] ، فدلت الآية الأولى على أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى قرية مؤمن آل ياسين على هدى من ربهم وتوفيق وسداد لمعرفة الحق والعمل به والدعوة إليه ، ودلت الآية الثانية على أن مخالفتهم وعبادة غير الله جل وعلا من المعبودات العاجزة الضعيفة أعظم الضلال وأكبر الخسران والضياع ، يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله في تقرير ما عليه الرسل من هداية الله لهم وحث مؤمن آل ياسين على الاقتداء بهم والسير على منهجهم : "﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ ، أي : وهم متصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية ، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سيرتهم فإذا كانوا هم مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى ، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما يدعون إليه وترغيبًا في متابعتهم ، وكانت جملة اسمية لإفادة إثبات اهتدائهم ودوامه بحيث لا يخشى من يتبعهم أن يكون في وقت من الأوقات غير مهتد "[1]، والهدى والضلال هما أعظم ما اشتمل عليه القدر من المسائل ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " هذا المذهب هو قلب القدر ومسائله ، فإن أفضل ما يُقدِّر الله لعبده وأجلَّ ما يقسمه له الهدى ، وأعظم ما يبتليه به ويُقدِّر عليه الضلال ، وكلُ نعمة دون نعمة الهدى ، وكلُ مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم ، وكتبه المنزلة عليهم على أنه – سبحانه – يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأن الهدي والإضلال بيده ، لا

[1] – انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٢ / ٣٦٧ – ٣٦٨)

بيد العبد ، وأن العبد هو الضال ، أو المهتدي ، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره ، والاهتداء والضلال فعل العبد "[1] ، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الهداية والضلال ، والطاعة والمعصية بمشيئة الله ، وأن الإنسان سببٌ في وقوعها ، وهو المسؤول عن أفعاله ، وأن هداية الله لعبدٍ وإضلاله لعبدٍ آخر لحكمةٍ يعلمها الله ويجهلها الخلق [2] ، قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الانبياء : ٢٣]، وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]، وهذا هو القدر الذي هو سر الله في خلقه ، والذي أُمِرْنا بالتسليم والإيمان به ، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " القدر سر الله فلا نكشفه" [3] فكل من الهداية والضلال " بخلق الله عز وجل ، فمن يرد هدايته أي: إلهامه وتوفيقه يشرح صدره للإسلام ، بأن يقذف في قلبه نورًا فيتسع له وينبسط ، ومن يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج ، فلا ينفذ إليه نور الإيمان ، وشَبّه ذلك بمن يصعد في السماء "[4].

والهداية إلى الإيمان في الدنيا [5] يقسمها أهل السنة والجماعة إلى قسمين[6] :

أحدهما : هداية عامة ، وتُسمى هداية الإرشاد والدلالة و البيان ، وهي بمعنى دعوة الخلق إلى الحق ، ونصب الأدلة ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، فهذه الهداية لا تستلزم اتباع الحق ، ويشترك فيها جميع المكلفين ، سواء آمنوا أو كفروا ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]، والثاني : هداية خاصة ، وهو

---

[1] – شفاء العليل ، ابن القيم (٦٥) ، وانظر : بدائع الفوائد ، ابن القيم (٢ / ٣٥)

[2] – الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون ، د.المرابط محمد الشنقيطي (٢٦٣٠)

[3] – انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (٢٤٩)

[4] – شرح العقيدة الواسطية ، الهراس (١٠١)، وانظر مدارج السالكين ، ابن القيم (١ / ٤٠٨) ، الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون ، د.المرابط محمد الشنقيطي (٢٦٣٠)

[5] – هناك قسمان آخران غير مرادين هنا ذكرهما الإمام ابن القيم رحمه الله ، هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها ، فهذه مشتركة بين جميع الكائنات ، والهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة أو النار ، انظر : شفاء العليل ، ابن القيم (٦٥) .

[6] – مباحث في الربوبية والقدر ، د.عيسى السعدي (٢١٢) ، وانظر : شفاء العليل ، ابن القيم (١٣٩ – ١٤٨) ، مفتاح دار السعادة ، ابن القيم (١ / ٢٣٤ –٢٣٥) ، القول المفيد ، ابن عثيمين (١ / ٣٥٣)

الهدى الذي يجعله الله في قلوب من يشاء من عباده ، وذلك بخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، وتُسمى هداية التوفيق أو الإلهام ، فهذه الهداية ، لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦]، وهناك أسباب جليلة ينبغي للمسلم أن يحرص عليها لتحصيل هداية التوفيق دلت عليها نصوص الكتاب والسنة أعظمها سببان[١] :

الأول : الدعاء ، قال الله عز وجل في الحديث القدسي : " ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم "[٢]، فهو وعد كريم من رب كريم لا يخلف الميعاد بحصولها لمن سألها بصدق ، ولِعظم هذا السبب وقوة تأثيره أُمرنا أن نقول في كل ركعة : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ – ٧]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين كان من أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بهذا الدعاء في كل صلاة ، مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم إلى الله دائماً في أن يهديهم الصراط المستقيم ، فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله المتقين "[٣]،

والسبب الثاني في حصول هداية التوفيق للعبد : العلم النافع ، فمن عرف الحق استحال ألا يهتدي إلا إذا وُجِد مانع من موانع الهداية ، كقسوة القلب ومرضه ، واتباع المتشابه دون المحكم ، والحسد والكبر، والخوف على المصالح ، وتعظيم عادات الأجداد ، واتباع الهوى ، وإخلاد العبد إلى الشهوات[٤]، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦]، قال الفضيل بن عياض رحمه الله (١٨٧هـ) : " من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق

---

١ – انظر : مباحث في الربوبية والقدر ، د.عيسى السعدي (٢١٣ – ٢١٤)

٢ – صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، حديث رقم : (٢٥٧٧)

٣ – مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١٠ / ١٠٨)

٤ – انظر : مفتاح دار السعادة ، ابن القيم (١ / ٢٤٣ – ٢٨٥) .

"[1]، كما أن في إهلاك قوم مؤمن آل ياسين بالصحة العظيمة ، وعدم إنزال جند من السماء لإهلاكهم – دلالةً على نفوذ مقادير الله عز وجل وأن ما تعلقت به مشيئة الله تعالى وإرادته الكونية فلا بد من نفوذه في محله[2]، قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس : ٢٨ – ٢٩]، يقول الشوكاني رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى : " ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾، أي : وما صح في قضائنا وحكمتنا أن ننزل لإهلاكهم جندًا لسبق قضائنا وقدرنا بأن إهلاكهم بالصيحة لابإنزال الجند "[3] ، وذلك أن الله جعل لكل شئ سببًا يخصه ، حيث أهلك بعض الأمم بالحاصب ، وبعضهم بالصيحة ، وبعضهم بالخسف ، وبعضهم بالإغراق ، وجعل إنزال الجند من السماء من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، في انتصاره على أعدائه[4] ، لكمال فضله وعظيم منزلة عند ربه عز وجل ، فيتضح من خلال قصة هذا الرجل المؤمن الصادق تقرير القدر ، وبيان أعظم مسائله وهو الهداية والضلال ، وتأكيد نفوذ مقادير الله عز وجل ، وأن ما تعلقت به مشيئة الله تعالى وإرادته الكونية فلا بد من وقوعه وحدوثه .

---

[1] – روضة المحبين ، ابن القيم (٤٧٩) ، وانظر : مباحث في الربوبية والقدر ، د.عيسى السعدي (٢١٤)

[2] – انظر : دراسات في دلالات المثلات ، د.عيسى السعدي (٢٣٩)

[3] – فتح القدير ، الشوكاني (٤ / ٤٨٣)

[4] – انظر : تفسير حدائق الروح والريحان ، محمد الأمين (٢٤ / ١٠)

الخاتمة :

في ختام هذا البحث ، أشكر الله عز وجل على تيسيره وتوفيقه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد توصلت من خلاله الى النتائج التاليه :

١- أن القصة القرآنية من أعظم الأساليب في بناء العقيدة والدعوة إليها وترسيخها في النفوس ، وهي من أكثر الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم .

٢- أن قصة مؤمن آل ياسين قدمت تعريفًا بالله جل وعلا وربوبيته وألوهيته وصفاته تبارك وتعالى بأيسر طريق وأجمل أسلوب وأوضح بيان ، فهي تغني عن كثرة التنظير والجدال وإيراد الأدلة ، فالنفوس بطبيعتها تقبل القصة وتنجذب إليها ، مع ما تميزت به هذه القصة من بيان أخلاق الإيمان ، وحسن عاقبة أهله، فكانت جاذبةً للنفوس باهرةً للعقول ، مُطَمْئِنة للقلوب.

٣- التحقيق في اسم (مؤمن آل ياسين) ، وما يتعلق بجوانب حياته من تفاصيل ، أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه، فالقرآن لا يهتم بذكر الأسماء ولا الأزمان ولا الأماكن ، وفي عدم التصريح بذلك مع الإشادة بعمل هذا الرجل المؤمن، ووصفه بالرجولة والسعي والمبادرة وبيان حسن العاقبة، حكمة بالغة ومغزى جليل ، منه الدلالة على أهمية الإخلاص لله عز وجل، وعدم السعي للشهرة وحب الثناء عند الناس .

٤- أن قصة مؤمن آل ياسين قد اشتملت على دلالات عقدية جليلة من تقرير توحيد الله تعالى ، وإثبات ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وتقرير الإيمان بالرسل ، وإثبات اليوم الآخر ، وتقرير القدر .

٥- أن قصة مؤمن آل ياسين، اشتملت على مجموعة من أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، وهذه الدلالة قد تكون دلالة مباشرة ، أو ضمنية تُفهم من خلال التحليل لألفاظ الآيات الكريمة التي ذكرت القصة ، وعند الاستقراء نجد أنها اشتملت على اسمين كريمين من أسماء الله عز وجل هما : (الرب ، الرحمن) ، وعلى ست صفات جليلة من صفات الله جل وعلا، هي : (العلو، والمغفرة ،و المشيئة، والقدرة، والعلم، والغضب) .

٦- أن مما اشتملت عليه قصة مؤمن آل ياسين الإيمان بالقدر ، وأن أعظم مسائله الهدى والضلال ، فإن أفضل ما يُقدِّر الله لعبده وأجلّ ما يقسمه له الهدى ، وأعظم ما يبتليه به ويُقدِّر عليه الضلال ، والهداية إلى الإيمان في الدنيا نوعان : هداية عامة ، وتسمى هداية الإرشاد والدلالة و البيان ، ويقوم بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأتباعهم من العلماء والدعاة ، والثاني : هداية خاصة ، وهي الهدى الذي يجعله الله في قلوب من يشاء من عباده ، وذلك بخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، وتُسمى هداية التوفيق أو الإلهام ، فهذه الهداية ، لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده ، وهناك أسباب جليلة ينبغي للمسلم أن يحرص عليها لتحصيلها ، أعظمها سببان : الدعاء ، والعلم النافع .

التوصيات :

١- العناية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والتمسك بهما ، وفهم معانيهما ، وفق منهج السلف الصالح من الصحابة وتابيعهم من القرون المفضلة .

٢- يمكن للباحثين الكتابة في هذه القصة الكريمة من ناحية بيان الأساليب التربوية المستنبطة منها ودورها في ترسيخ العقيدة .

المراجع :

١- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – عبدالله بن محمد بن بطة العكبري – تحقيق : رضا مصطفى – دار الراية – الرياض – ط (١) – ١٤٠٩هـ
٢- ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين في الإلهيات – د.محمد الهراس – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١)
٣- أدب القصة في القرآن الكريم – د.عبدالجواد محمد المحص – الدار المصرية – الإسكندرية – طبعة (١٤٢٠هـ)
٤- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد – د.سعود بن عبدالعزيز العريفي – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط (١) – ١٤١٩هـ
٥- أساس البلاغة – جارالله الزمخشري – تحقيق : محمد عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤١٩هـ
٦- الاستقامة – شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – مؤسسة قرطبة – ط (٢)
٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت – ط – ١٤١٥هـ
٨- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة – حافظ الحكمي – تحقيق : أحمد علي علوش – مكتبة الرشد – الرياض – ط (٢) – ١٤١٤هـ
٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – الإمام ابن القيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (١) – ١٤١٧هـ
١٠- إيثار الحق على الخلق – أبي عبدالله محمد بن المرتضى المشهور بابن الوزير – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤٠٣هـ
١١- البحر المحيط – محمد يوسف أبو حيان الأندلسي– تحقيق : عادل عبدالموجود و علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) –١٤١٣هـ
١٢- البداية والنهاية – الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي – مكتبة المعارف – بيروت – ط (٧) – ١٤٠٨هـ
١٣- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان
١٤- البرهان في علوم القران – الزركشي – تحقيق : د.يوسف الرعشلي – دار المعرفة – بيروت – ط (٢) – ١٤١٥هـ

١٥- تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدي - محمد بن مرتضى الحسيني- ط(١) - مجموعة من المحققين - دار الهداية - ١٩٦٥م
١٦- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية - تونس - ١٨٨٤م
١٧- التدمرية - ابن تيمية - أحمد بن عبدالحليم - تحقيق : د.محمد بن عودة السعوي - ط (٦) - مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٢١هـ
١٨- تفسير أبي السعود ،أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - أبو السعود محمد العمادي الحنفي - تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض
١٩- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) - الإمام عبدالرحمن بن محمد الثعالبي المالكي - تحقيق : على محمد معوض ورفاقه - دار إحياء التراث - بيروت - ط (١) - ١٤١٨هـ
٢٠- تفسير القرآن العظيم - الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير - تحقيق : محمد السيد رشاد - مؤسسة قرطبة - القاهرة - ط (١)
٢١- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن - محمد الأمين الشافعي - دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - ط (١) - ١٤٢١هـ
٢٢- تقريب التدمرية - ابن عثيمين - محمد بن صالح بن محمد - ط (١) - دار ابن الجوزي - الدمام - ١٤١٩هـ
٢٣- تهذيب اللغة - أبي منصور الأزهري - تحقيق : محمد عوض - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط (١) - ٢٠٠١م
٢٤- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - المكتب الاسلامي - بيروت - ط (٥) - ١٤٠٢هـ
٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبدالرحمن بن ناصر السعدي - دار ابن الجوزي
٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي - دار هجر للنشر والتوزيع - القاهرة - ط (١) - ١٤٢٢هـ
٢٧- الجامع الصحيح - البخاري- الإمام محمد بن اسماعيل - ط (١) - بيت الأفكار الدولية - الرياض - (١٤١٩هـ)

٢٨- جامع العلوم والحكم –ابن رجب الحنبلي – الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين – تحقيق : طارق بن عوض – ط (٢) – دار ابن الجوزي – بيروت– ١٤٤١هـ
٢٩- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢٧هـ
٣٠- الجامع لمباحث الأسماء والصفات – د.عيسى بن عبدالله السعدي – دار الأوراق – جدة – ط (١) – ١٤٤٤هـ
٣١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – شيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – تحقيق : د.علي حسن ورفاقه – دار العاصمة – الرياض – ط (٢) – ١٤١٩هـ
٣٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) – الإمام ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت
٣٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي – تحقيق : د.عبدالله التركي – مركز هجر – القاهرة – ط (١) – ١٤٢٤هـ
٣٤- درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية – تحقيق : محمد رشاد سالم – مطابع جامعة الإمام – الرياض – ط (١) – ١٣٩٩هـ
٣٥- دراسات في دلالات المثلات – د.عيسى بن عبدالله السعدي – دار ابن الجوزي – الرياض – ط (١) – ١٤٣٥هـ
٣٦- دراسات في علم العقيدة – أ.د.ناصر بن عبدالله القفاري – دار العقيدة للنشر والتوزيع – الرياض – ط (١) – ١٤٤٢هـ
٣٧- الدرر السنية في الأجوبة النجدية – جمع وترتيب : عبدالرحمن بن قاسم – دار العربية – بيروت – ط (٢) – ١٣٩٨هـ
٣٨- دور القصص القرآني في بناء العقيدة – محمد عبدالحكيم حامد – حوليات آداب عين شمس – المجلد : (٣٨ / ابريل / ٢٠١٠ م)
٣٩- روح المعاني قي تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين السيد محمود الألوسي – دار إحياء التراث – بيروت – لبنان
٤٠- روضة المحبين – الإمام ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت

٤١- زاد المسير في علم التفسير – الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي – تحقيق : زهير الشاويش – المكتب الاسلامي – بيروت – ط (٣) – ١٤٠٤هـ
٤٢- زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن القيم الجوزية – تحقيق : شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٢٧)- ١٤١٤هـ
٤٣- زيادة الإيمان ونقصه والاستثناء فيه – د.عبدالرزاق البدر – مكتبة دار القلم والكتاب – الرياض – ط (١) – ١٤١٦هـ
٤٤- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها على الأمة – الألباني – دار المعارف – الرياض – ط (١) – ١٤١٢هـ
٤٥- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – محمد بن علاء الدين علي – – تخريج الألباني – ط (٩) – المكتب الاسلامي – بيروت .
٤٦- شرح العقيدة الواسطية – الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية – القصيم – ط (٨) – ١٤٤١هـ
٤٧- شرح العقيدة الواسطية – محمّد خليل هراس – تحقيق: عبدالرزاق عفيفي – مطابع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ط (٤) – بدون تاريخ.
٤٨- شرح صحيح مسلم – النووي – الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف – ط (١) – المطبعة المصرية – (١٣٤٧هـ)
٤٩- الشريعة – الإمام محمد بن الحسين الآجري – تحقيق : محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤٠٣هـ
٥٠- شفاء العليل – ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٠٧هـ
٥١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي – تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – ط (٤) – ١٤٠٧هـ
٥٢- صحيح مسلم – مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج القشيري – ط (١) – بيت الأفكار الدولية – الرياض – (١٤١٩هـ)
٥٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين – ابن القيم الجوزية – محمد بن أبي بكر – تحقيق : محب الدين الخطيب – ط (٣) – المكتبة السلفية .
٥٤- العبودية – ابن تيمية – تحقيق : محمد زهير الشاويش – المكتب الاسلامي – بيروت – ط (٧) – ١٤٢٧هـ

٥٥- العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير – محمد الأمين الشنقيطي – دار علم الفوائد – مكة المكرمة – ط (٢) – ١٤٢٦هـ
٥٦- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري – الإمام محمود بن أحمد العيني – حققه وصححه : عبدالله محمود عمر – دار الكتب العلمية – بيروت – ط (١) – ١٤٢١هـ
٥٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – تصحيح : ابن باز – دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩هـ
٥٨- فتح القدير – الشوكاني – دار الفكر – بيروت – بدون طبعة
٥٩- فتح رب البرية بتلخيص الحموية – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد – ط (١)– مطابع جامعة الأمام – ١٤١٢هـ
٦٠- فضائل القرآن – الحافظ أبي عباس جفعر بن محمّد المستغفري – تحقيق: د. أحمد بن فار السلوم تدار بن حزو – لبنان – بيروت – ط(١) – ١٤٢٧هـ.
٦١- فقه الأسماء الحسنى – البدر– د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن حمد– ط (١) – دار بن الجوزي – الدمام– ١٤٣٤هـ
٦٢- الفوائد – الإمام ابن القيم الجوزية – دار الريان للتراث – القاهرة – ط (١) – ١٤٠٧هـ
٦٣- الفوائد العقدية المستنبطة من قصة مؤمن آل فرعون – د.المرابط محمد يسلم الشنقيطي – المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة – الزقازيق – مصر – العدد : (٣١ / ٢٠١٩)
٦٤- القاموس المحيط – الفيروزآبادي – محمد بن يعقوب الشيرازي – إشراف : محمد نعيم – ط (٦) – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٥هـ
٦٥- قصص القرآن الكريم – د.فضل حسن عباس – دار الفرقان – عمان – الأردن – ط (١) – ١٤٢٠هـ
٦٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – محمد بن صالح بن عثيمين – مكتبة الكوثر – ١٤٠٦هـ
٦٧- القول السديد شرح كتاب التوحيد– السعدي – عبدالرحمن بن ناصر – ط (١) – دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ
٦٨- القول المفيد – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد– ط (٢) – دار ابن الجوزي – الدمام – ١٤٢٤هـ

٦٩- كتاب السنة – الإمام أحمد بن حنبل – تحقيق : عبدالله بن حسن آل الشيخ – المطبعة السلفية – مكة المكرمة – ١٣٤٩هـ
٧٠- كتاب القدر – الحافظ أبي بكر جعفر محمد الفريابي – تحقيق : عبدالله المنصور – أضواء السلف – ط (١) – ١٤١٨هـ
٧١- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جار الله الزمخشري – تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود ورفاقه – مكتبة العبيكان – الرياض – ط (١) – ١٤١٨هـ
٧٢- لسان العرب – ابن منظور – محمد بن مكرم بن علي – ط (٣) – دار صادر – بيروت –١٤١٤هـ
٧٣- مباحث الربوبية والقدر – د.عيسى بن عبدالله السعدي – دار الأوراق – جدة – ط (١) – ١٤٤١هـ
٧٤- مجموع الفتاوى – ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – جمع وترتيب : عبدالرحمن القاسم – مطبعة المساحة العسكرية – القاهرة – ١٤٠٤هـ
٧٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – عبدالحق بن عطية الأندلسي – تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢٢هـ
٧٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم الجوزية – تحقيق : محمد المعتصم بالله – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (٢) – ١٤١٦هـ
٧٧- المسند –الإمام أحمد – أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل – تحقيق : أحمد – شاكر – ط(١) – دار الحديث– القاهرة – ١٤١٦هـ
٧٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أحمد بن محمد الفيومي – المكتبة العلمية – بيروت
٧٩- معالم التنزيل (تفسير البغوي) – حسين مسعود البغوي – تحقيق : خالد العك ورفيقه – دار المعرفة – ط (٢) – ١٤٠٧هـ
٨٠- المعجم الكبير – أحمد الطبراني – تحقيق – محمّد بن عبدالمجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط (٢) – ١٤٠٤هـ.
٨١- معجم مقايس اللغة – ابن فارس – أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني – تحقيق : عبدالسلام هارون ط (١) – دار الفكر– ١٣٩٩هـ
٨٢- معرفة الصحابة ، أبي نعيم ، تحقيق : محمد حسن ، ومسعد السعدني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤١٢هـ

٨٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والارادة – ابن القيم الجوزية – اعتنى به : علي الحلبي – دار ابن عفان – الخبر – ط (١)- ١٤١٦هـ
٨٤- المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – الحسين بن محمد بن المفضل – دار المعرفة – بيروت .
٨٥- مؤمن آل ياسين وأصحاب القرية دروس وعبر – د.سمير أحمد عبدالخالق – شبكة الألوكة
٨٦- نبذة في العقيدة الإسلامية – محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية – القصيم – ط (٢) – ١٤٣٠هـ
٨٧- النبوات –ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – تحقيق : د.عبدالعزيز الطوبان– ط (١) – دار أضواء السلف– الرياض– ١٤٢٠هـ .
٨٨- نفحات من علوم القرآن ، محمد أحمد محمد معبد ، دار السلام ، القاهرة ، ط (٣)
٨٩- النهاية في غريب الحديث والأثر – محمد الجزري المعروف بابن الأثير – تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي – مكتبة الباز – مكة
اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة – د.عبدالمحسن المطيري – دار البشائر الاسلامية – بيروت – ط (٢) – ١٤٢٧هـ .